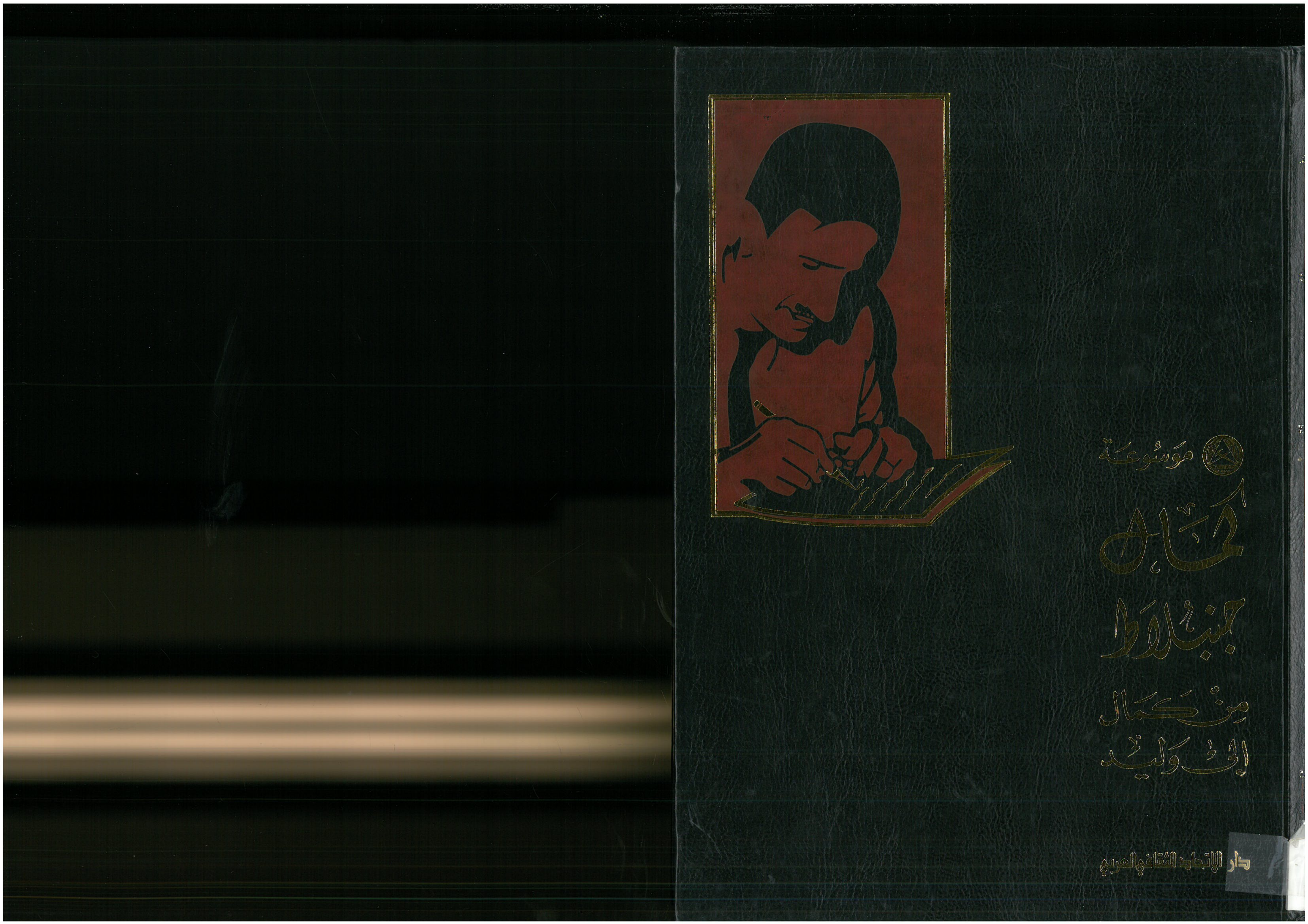

موسوعة
كمال
جنبلاط
من كمال
إلى وليد
دار الاتحاد الثقافي العربي

قسم الدراسات في دار الاتحاد الثقافي العربي
بإشراف الدكتور سامي ريحانا

موسوعة

كمال جنبلاط

من كمال إلى وليد

المجلد الثاني عشر

كمال جنبلاط والعالم العربي

دار الاتحاد الثقافي
العربي

اسم المجموعة:	موسوعة كمال جنبلاط
اسم الكتـاب:	كمال جنبلاط والعالم العربي
اسم المؤلـــف:	الدكتور سامي ريحانا
قيـاس الكتـاب:	21 × 28
عدد الصفحات:	160
عدد صفحات المجموعة:	3040
مكـان النشـر:	بيروت
دار النشر والتوزيع:	دار الاتحاد الثقافي العربي
تلفاكس:	961 (1) 82 34 22
هاتـف:	961 (1) 82 34 22 - 961 (3) 19 55 66
الطبعة الأولى:	2007

المقدمة

آمن كمال جنبلاط بالعالم العربي وبالقومية العربية وبإمكانات العرب في تقرير مصيرهم بأنفسهم، ونادى دوماً باجتماع كلمتهم في وجه الأخطار الخارجية والداخلية التي كانت تتهدّد مجتمعاتهم. فقد ساند جميع الحركات العربية النضالية التي قامت في الدول العربية وطالب بتأييدها من قِبَل الدولة اللبنانية، وطالب بتوحيد العرب في وجه الأطماع الاستعمارية الجديدة وفي سبيل محاربة الاحتكارية الدولية للقرارات التي تُملى إملاءً على الشعوب الصغيرة.

وانطلق كمال جنبلاط في نضاله العربيّ من مفهومه الأُمميّ للاشتراكية والقومية، ولضرورة توحيد الحركات النضالية والثورية في العالم العربي ووضعها بتصرُّف الأمة بهدف دعم أي حركة نضالية في أيٍّ من الدُوَل العربية. فمنذ بداية نضاله الوطني، وفي صيف 1944، وفيما كانت المشاريع السياسية العربية تُطرح لتأسيس جامعة الدول العربية، أكّد النائب الشاب كمال جنبلاط في مجلس النواب اللبناني على ضرورة التعاون مع الأقطار العربية في إطار الجامعة العربية، وأنّ ذلك يستجيب كليّاً مع مصالح لبنان الوطنية، وأنّ فكرة

ابتلاع لبنان من قِبَل الدول العربية ملفّقة ومغرضة ولا تعبّر إلا عن نزعة انقسامية.

كتب خليل أحمد خليل عن التوجُّه العروبي في فكر الرئيس كمال جنبلاط منذ بدايات نضاله السياسي ما يأتي[1]:

«في جلسة المجلس النيابيّ المعقودة يوم 23/ 9/ 1944، دارت مناقشة حادّة جداً حول إشكالية استقلال لبنان عن العرب ومدى ارتباطه القومي بالعالم العربي، فأفصح كمال جنبلاط عن نظرة معتدلة إلى قضية الوحدة العربية. وقال في تلك الجلسة: «كنت ولم أزل مع كثير من رجال الفكر في هذا البلد من الذين يعتقدون بإخلاص أنّه لا يمكن لفريق من المواطنين في هذه البلاد أن يعترف بلبنان ما لم نعترف نحن بصبغة لبنان العربية». وأكّد في مداخلته تلك أن فكرة «ابتلاع لبنان» هي تلفيق، وإن ترويجها في جبل لبنان مُغرض، وأنها لا تعبّر إلاّ عن نزعة انقسامية. ذلك أن ما نقصده من عروبة لبنان هو عكس ما يُروَّج له تماماً، فمثالنا أن الوحدة العربية ستكون قومية لا دينية، قومية كما كانت الإمبراطورية الأموية أو العباسية».

هذا المفهوم للقومية العربية لم يكن نظرياً إذ إن مؤسِّس الحزب نقله إلى الناحية العملية التنفيذية، داعماً جميع الحركات العروبية في العالم العربي. ففي خطاب الرئيس المؤسِّس خلال شهر أيار 1961، خلال المهرجان الذي أقيم في قصر الأونيسكو في بيروت في الذكرى الثالثة عشرة لاغتصاب فلسطين من قِبَل الصهيونية، شدّد على وجوب قيام الأمة العربية بنهضة حديثة وجعل مصير الشعوب العربية بيدهم بهدف لعبهم ورقة مصيرهم بأنفسهم.

ومما قاله[2]:

«كل المؤامرات واجهها الشعب اللبناني في جميع أقطاره بوعي مدهش وعزيمة لا تلين وتصميم لا يقبل المسايرة والمساومة وبتخطيط بدأ يتوضح مع

(1) خليل أحمد خليل، كمال جنبلاط - ثورة الأمير الحديث، دار المطبوعات الشرقية، 1984، ص 96.

(2) الأنباء، 5 تشرين الأول 1951.

الزمن. ولم تكن المقاطعة إلا ركيزة أولى وبداية تنفيذ لما يطمح إليه قادة العرب المدركين لمسؤولياتهم من ضرورة معالجة الأوضاع بروح العلم والجرأة المعنوية والانتظام والتنظيم»[1].

وتابع الرئيس كمال جنبلاط في دعم الشعب الفلسطيني. فقد أشاد بالمقاومة المسلّحة للشعب الفلسطيني وأدان الصهيونية بالعنصرية مطالباً بالحقوق الشرعية لشعب فلسطين، وانتقد التسويات العربية مع العدو الصهيوني داعياً الدول العربية للعمل على تحرير فلسطين مستعملين سلاح النفط.

كما دعا إلى رفض قرارات الأمم المتحدة لعامي 1967 و1973 كونها كانت لها ظروفها التي زالت. ونادى بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم منددّاً بالخلافات بين الفصائل الفلسطينية التي توجّه بندقية أفرادها ضد بعضهم البعض بدلاً من توجيهها نحو العدو المشترك.

ورأ الرئيس جنبلاط أن بين الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية أكثر من تحالف، إذ إن وحدة مصير وأهداف تجمعهما داعياً إلى قيام حركة تحرر عربية تضم في صفوفها الحركة الوطنية اللبنانية.

ومن الأفكار التي طرحها الرئيس جنبلاط في حوار مع «فلسطين الثورة» في بداية عام 1976:

- الثورة الفلسطينية هي صاحبة مصلحة في التغيير السياسي في لبنان إذ إنه لا يمكن إقامة علاقات سليمة بين لبنان والمقاومة إلا في ظلّ حكم وطني.

- لقد انعكس البخل العربي على المطالب الأساسية للنضال السياسي في سبيل تحقيق تسوية مقبولة من الجميع خاصة من الفلسطينيين.

- الحكومات العربية لم تتحرك كما يجب لأجل نصرة قضية عروبة لبنان.

- لا توجد في الدول العربية ديمقراطيات سياسية. لذلك لم تتحرك الجماهير العربية.

(1) انظر ملحق رقم 1: مفهوم الحزب التقدُّمي الاشتراكي للقضية العربية.

- العالم العربي الإسلامي لم ينعتق بعد من التحسُّس العميق بالشعور الديني السالف والتقليدي، لأنه لم يخطِ أية خطوة نحو الديمقراطية السياسية.

- الخلافات العربية القائمة بين مصر وسوريا من جهة، وبين العراق وسوريا من جهة أخرى، جعلت دينامية المعركة ضد إسرائيل تنخفض.

- أوروبا مجتمعة لا تستطيع أن تحل محل الاتحاد السوفياتي بمدّ مصر بالأسلحة. كما أن أوروبا أو غيرها غير قادرة أو راغبة في تنمية الاقتصاد القومي العربي.

داخلياً، ترافق مع مفهوم التعريب مفهوم إلغاء الطائفية السياسية واعتماد نظام العلمنة الشاملة. فقد جاء في بيان الحزب التقدُّمي الاشتراكي لعام 1973 ما يأتي[1]:

«إن التعريب لا يمكن أن يتم في لبنان بدون النضال ضد شتى الامتيازات الطائفية ومن أجل العلمنة الشاملة للدولة والثقافة والقوانين وإحلال مفهوم متقدِّم للديمقراطية السياسية والاجتماعية في البلاد. هذا الترابط الضروري بين مهمة التعريب (صعيد المعركة القومية)، ومهمة العلمنة وتوحيد عناصر الشعب هي لبّ الإشكال اللبناني وأساس الخصوصية التي تتميز بها المعركة العربية في إطاره...».

وهكذا نرى أن مسيرة النضال العربي لكمال جنبلاط رافقته حتى يوم اغتياله. لذلك حفلت الخطابات التأبينية التي ألقيت بمناسبة ذكرى استشهاده الأربعين بكلمات الإشادة بعروبة الفقيد الكبير. فقد جاء في كلمة سفير الكويت في لبنان عبد الحميد البعيجان أن كمال جنبلاط «كان رجلاً من رجال العرب الذين لا يتكرّرون إلا نادراً»[2].

وقال عنه الأمين العام لمؤتمر الشعب العربي عمر الحامدي[3]:

(1) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، الدار التقدُّمية، المختارة، 1987، ص 498.

(2) قالوا في كمال جنبلاط، الدار التقدُّمية، المختارة، 2002، ص 561.

(3) المرجع نفسه، ص 568.

«وإننا لنفخر حقاً أن يسقط مثل هذا الزعيم في الخندق الأمامي دعماً للثورة الفلسطينية، وتأكيداً لعروبة لبنان، تأكيداً لحق الأمة العربية في أن تنتزع حقوقها من بين أنياب الذئاب».

وقال عنه الشاعر سميح القاسم[1]:

«إنه أحد الرموز الشاهقة في التاريخ العربي المعاصر، وهو بوصلة للروح العربية المعاصرة. وسيظلّ اسمه بيرقاً علماً خافقاً في سماء العروبة إلى أبد الداهرين».

إلا أن أبرز تعليق على دور كمال جنبلاط العربي جاء على لسان ممثِّل منظمة التحرير الفلسطينة ماجد أبو شرار الذي شبّه الزعيم الاشتراكي اللبناني بالزعيم المصري الرئيس جمال عبد الناصر في إطار النضال في سبيل رِفْعة الأمة العربية مؤكِّداً «إن كمال جنبلاط حرّ في ضمير كل أبناء الأمة العربية الذين رأوا فيه، على مدار سنوات نضاله، الفارس الممتشق، على الدوام، القلم يكتب من أجل الأمة، والسيف يقاتل به أيضاً من أجل الأمة»[2].

سنحاول في هذا الجزء من الموسوعة استعادة نضال الرئيس كمال جنبلاط في سبيل رفع شأن العالم العربي ودُوَله وشعوبه.

(1) المرجع نفسه، ص 592.

(2) المرجع نفسه، ص 590.

ملحق رقم 1

مفهوم الحزب التقدُّمي الاشتراكي للقضية العربية

آمن الرئيس المؤسِّس كمال جنبلاط بمفهوم العروبة الحضارية المتجذّرة في التاريخ والتي تجمع شمل العرب من المحيط إلى الخليج. كما آمن أيضاً بالمفاهيم العروبية الصافية والخالية من الأحقاد. ونادى الحزب التقدُّمي الاشتراكي باتفاق العرب ووحدتهم.

ضمن هذا الإطار نورد مقالاً في مجلة الأنباء عن هذا المفهوم بقلم كمال جنبلاط[1]:

«القضية العربية هي واقع الجماعة العربية التي تعيش في محيط معيّن زماني ومكاني وتنتسب إلى تراث معيّن. والقضية العربية وقبل كل شيء انتساب أصيل لهذا التراث الجامع بين جماعات تتحدث باللغة ذاتها وتنتسب إلى تاريخ واحد وإلى لون من التقليد والتفكير يجمع بينها. فالقضية العربية في مرحلتها الحالية تنزع إلى تكوين قومية خاصة بها.. ويجب أن ننظر إلى التاريخ، وكيف حاولت منذ منتصف القرن الغابر، الجماعات العربية القاطنة في هذا المحيط الذي يتحدث لغة

(1) مجلة الأنباء، 21 شباط 1970.

واحدة وينتسب إلى تراث واحد، حاولت وتحاول أن تبرز شخصية جامعة واحدة وأن تتخلص من التراث الديني الذي كان الرابط الوحيد بينهما في السابق، الرابط المسيطر إلى حد كبير. فهذه القومية في الواقع لا تزال في دور المخاض تنزع إلى الوحدة أو إلى ألوان من الوحدة كانت الجامعة العربية أولى مظاهرها.. وفيما كانت السوق العربية المشتركة التي لم تتحقق حتى الساعة بشكل شامل إحدى هذه المظاهر.. ثم برزت الوحدة بين مصر وسوريا كإحدى تحققات هذه الأماني والآمال الشعبية. فالقضية العربية من الوجهة السياسية هي نزعة إلى تحقيق وحدة من الترابط السياسي بين هذه الجماعات التي تتحدث بلغة واحدة تنقل لها تراثاً وتقليداً واحداً، ولا تزال في دور النمو، ولولا ذلك لما انتكست في إحدى تحققاتها الأولى.

يجب أن يرافق نمو هذه القضايا عقلانية أوضح، درس تاريخي أعمق، لكي نتمكن من تحقيقها ضمن إطارات محدودة في المكان أكثر من السابق بين جماعات تستطيع أن تتلاءم. ولنا في ذلك بعض الآراء التي سيوضحها الحزب.

أما التحدث عن وحدة شاملة بين الخليج العربي والمحيط الأطلسي فلا يزال ذلك ضمن الأماني، إلا إذا انطلقت كما انطلقت في الأيام الفاطمية هذه النزعة للوحدة من بلاد المغرب واجتاحت مصر ثم اجتاحت بدورها سوريا والعراق والجزيرة العربية. ولكن هذه انطلاقة راهنة بالأحداث التاريخية. كل ما يمكن أن نقول اليوم، إن عناصر هذه الوحدة تتكامل أكثر ضمن نطاق وحدة جغرافية وسياسية عربية».

* * *

الفصل الأول

بدايات النضال العربي لكمال جنبلاط

قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية ظهرت إلى العلن اهتمامات بمستقبل العالم العربي بعد أن ظهرت إلى النور صيغ عديدة كانت قد حضّرت لتأسيس جامعة تضم جميع الدول العربية. ترافق ذلك مع اقتراح للأمير عبد الله بن الحسين لإقامة «سوريا الكبرى» من خلال توحيد لبنان وسوريا وفلسطين وشرق الأردن، واقتراح لرئيس وزراء العراق بإقامة «الهلال الخصيب» الذي يضم العراق إلى الدول المعنية بالاقتراح السابق.

وفيما رفض بعض القادة السياسيين اللبنانيين وخاصة من الطائفة المسيحية هذه الاقتراحات خوفاً من «ابتلاع لبنان» من قِبَل الدول العربية الأخرى التي ستنضمّ إلى أحد الاتحادات المقترحة لكونها أقوى من لبنان اقتصادياً وأكبر منه حجماً وأكثر سكاناً، أبدى كمال جنبلاط اهتماماً أكبر بقضية مستقبل التنظيم الإقليمي العربي. وركّز بشكل خاص على قيام جامعة الدول العربية رافضاً باقي الصِّيَغ الإقليمية الصغرى.

وقد توصل الرئيس كمال جنبلاط إلى تكوين رأي خاص به حول جامعة الدول العربية نشرته

مجلة الأديب في كانون الأول 1944، من أبرز ما جاء فيه[1]:

- استعراض للأشكال المعروفة تاريخياً في التعاون بين الدول، الأمر الذي يؤدي إلى صيغة للدولة العالمية الكبرى تسمى «الجامعة الدولية» التي يمكنها التوفيق بين الاستقلال السياسي لكل دولة وتعاونها السياسي مع الدول الأخرى.

- هذه الصيغة للجامعة الدولية يمكن أن تنزع من أفكار بعض الساسة اللبنانيين فكرة تهديد الكيان اللبناني، وإبعاد شبح الاندماج والاتحاد الذي يُخيف الكثيرين منهم.

كما نشرت مجلة الأديب أيضاً في بداية عام 1945 دراسة أخرى لكمال جنبلاط حول التنظيم الاقتصادي للدول العربية بعد الحرب، رأى فيها أنّ من أهم شروط النجاح في تطوير اقتصاد البلدان العربية إجراء الإصلاحات الاجتماعية الجذرية. فالإصلاح الاقتصادي، وِفق كمال جنبلاط، لا يمكن أن يعطي النتائج المتوخّاة إذا لم يقترن بتشريع اجتماعي عام يهدف إلى إحلال العدالة الاجتماعية بكل ما في الكلمة من معنى[2].

وخلال الأزمة الفلسطينية التي رافقت نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين، كان كمال جنبلاط واقعياً في تقييم الموقف العربي الداعم للشعب الفلسطيني، إذ رأى أن «مصيبة العرب تكمن في أنهم جوبهوا بأقوى وأذكى شعب مرّ على التاريخ، شعب جمع في طيّاته عقلاً خلاّقاً اندمجت فيه الحضارة الأوروبية... وبات طاقة فعّالة فيها جميع المتميزات الغربية»[3].

ورغم هذا الواقع، كان كمال جنبلاط يرى أن بإمكان الجيوش العربية، إذا توحّدت، إنزال هزيمة شنعاء بالقوات اليهودية غير النظامية التي كانت تخوض

(1) مجلة الأديب، كانون الأول 1944، ص 5.

(2) مجلة الأديب، كانون الثاني، 1945، ص 3.

(3) تيموفيف، إيغور، كمال جنبلاط الرجل والأسطورة، دار النهار، بيروت، 2000، ص 138.

الصراع ضد فلسطين يومذاك. هذا الإيمان بالقدرة العربية للدول العربية الجامعة لم يفارق الزعيم الاشتراكي طوال مسيرته العربية النضالية الطويلة.

فقد دأب كمال جنبلاط على تكرار النداءات إلى توحيد جهود العرب في سبيل مصلحتهم القومية، كما أعجب ودعم جميع المحاولات التي حصلت في هذا المضمار، من جمال عبد الناصر إلى النضال السوري والعراقي، إلى الثورة الجزائرية. وتألّم من نكسات العرب المتتالية خلال حروب 1949 و1956 و1967، وتفاؤل إثر الحرب المصرية - السورية لعام 1973 ضد إسرائيل والتي أعطت نتائج ميدانية ممتازة لمصلحة العالم العربي.

وفي عام 1949، وبعد معركة فلسطين الأولى وتقييم أسباب خسارة العرب للحرب رأى أن الشعوب العربية والشرقية لا يمكنها أن تنهض وتتخلّص إذا لم ترتفع بالأمل وتتوق بالنزعة إلى ما فوق الأوثان وما هو مفرق المعتقدات والقوميات والعنصريات والتكتلات، وإلى ما هو فوق التعلق بالماضي وآثاره، وبالحضارة الغربية وتقليدها وتجديدها، وإلى ما هو أثمن من التراث والفلسفة والفنّ والعلم - لا يعادله إلا الوحي والإشراق ولولاه لما أنعم بهما الله - وهذا الشيء هو الإيمان بالحياة.

وفي شهر آذار عام 1949 وقع انقلاب في سوريا قاده حسني الزعيم الذي أعلن قيام نظام جديد في البلاد مشابه لنظام كمال أتاتورك. ولما أبدت الحكومة اللبنانية تردداً في الاعتراف بالحكم الجديد، وجّه حسني الزعيم دعوة إلى زعماء المعارضة اللبنانية لزيارة سوريا حيث قوبلوا بحفاوة بالغة. وخلال حفل الاستقبال الذي جرى في فندق الشرق جلس كمال جنبلاط إلى يمين قائد الانقلاب السوري فيما جلس إلى يساره عبد الحميد كرامي وعادل عسيران.

وفي الأول من أيار عام 1949 أعلن رسمياً عن تأسيس الحزب التقدّمي الاشتراكي برئاسة كمال جنبلاط الذي تابع بمعالجة القضايا العربية من خلال نضاله الشخصي ونضال الحزب التقدّمي الاشتراكي اعتباراً من هذا التاريخ.

أولاً - العروبة في ميثاق الحزب التقدُّمي الاشتراكي

ضمن عنوان السياسة الخارجية رأى الحزب التقدُّمي الاشتراكي وجوب تأييده التعاون الوثيق مع الدول العربية وقيام اتحادات إقليمية وشبه قارية وقارية ومؤسسات للتعاون ترتكز إلى المصلحة الاقتصادية أو الجغراسياسية وإلى التفاعل الثقافي. كما ترتكز هذه الاتحادات إلى نزعة قومية عربية لبعث كيانها السياسي والدولي المتوضّح من خلال تفاعلها وتراثها ومصيرها وضرورات إنماء مجتمعها[1].

وجاء في ميثاق الحزب التقدُّمي الاشتراكي حول التعاون العربي ما يأتي[2]:

«وانطلاقاً من هذه الأسس الموضوعية الواضحة واستناداً إلى واقع تحرُّك الجماهير العربية بمفاهيم القومية العربية النامية والمندفعة بمستلزمات المصلحة الوطنية والاقتصادية المشتركة، وارتكازاً إلى التحليل التاريخي للمدارات والمحاور التي يمكن تحقيق الوحدة فيها، واعتماداً لما تضمّنه هذه المدارات من تنوُّع ناجم عن التجزئة السياسية والانفراد في العيش الدولي المستقلّ فترة من الزمن، وضرورات اللامركزية الديمقراطية، واعتباراً بتجربة الوحدة السورية المصرية الأخيرة وأسباب انفصالها، يوضح الحزب رأيه بما يلي:

- إن الشعوب العربية، ومنها شعب لبنان، تنزع بطبيعة تكوينها الاجتماعي واحتمالات اتجاهات التطوُّر إلى تحقيق الوحدة فيما بينها.

- إن شكل هذه الوحدة السياسية، نظراً لأوضاع الشعوب التي حلّلناها، يقوم في الاتحاد الديمقراطي الفدرالي اللامركزي الحافظ لما أبرزته الحقبات القديمة والحديثة والأخيرة من تنوُّع في الشخصية القومية العربية.

- إن أحد الإطارات الجغرافية المباشرة والتاريخية المحتملة لتحقيق

(1) الحزب التقدُّمي الاشتراكي - الميثاق، الدار التقدُّمية، المختارة، 2002، ص 64.

(2) المرجع نفسه، ص 65 - 68.

أولى خطوات هذا الاتحاد الديمقراطي الفدرالي اللامركزي العربي يشمل الكيانات السياسية العربية القائمة وذلك وفقاً لإرادة الشعوب بتقرير وتحديد مصيرها.

- يعتبر من المبادرات الرئيسية الأولى في تحقيق هذا التعاون العربي:

أ - إنشاء السوق العربية الاقتصادية المشتركة.

ب - تحقيق الاتحاد العسكري (أي إنشاء جيش دفاع موحَّد عربي، مع الاحتفاظ لكل قطر بجيشه الوطني الخاص).

ج - تحقيق طرق المواصلات البرية الكبرى الرابطة بين الأقطار العربية.

د - تحقيق لون من التقارب التعليمي والتبادل الثقافي النشيط.

- إن قيام مثل هذا الاتحاد الديمقراطي الفدرالي اللامركزي العربي يوجب الالتزام بالمبادئ والمناهج التالية:

أ - اعتبار الوحدة الوطنية الداخلية الحقيقية وضرورة تنميتها منطلقاً لتحقيق هذا الاتحاد العربي، بحيث تضعف أو تزول التناقضات والنزعات الداخلية.

ب - فصل الدين عن الدولة فصلاً تاماً واعتبار العلمانية أسّاً جوهرياً في قيام المجتمع العربي المقبل، وفي تكوين الدولة وأنظمتها. فلا عصبية دينية ولا طائفية سياسية ولا تمييز ولا تفرقة، وذلك في القضاء على النزعات والإطارات التقليدية وتطويرها، ومنها العشائرية والقَبَلية والقوى المعيقة للتحرُّر الوطني.

ج - إشراك الأقليات الإثنية Minorités Ethniques، على أوسع نطاق ممكن دون اعتبار عددها، في الإدارة السياسية والاقتصادية، وفي التوجيه العام في الدولة، وذلك للإفادة من مواهبها المتنوعة التراثية والمكتسبة، وبغية تنمية تضامنها وشعورها بالمشاركة.

د - إن أسلوب العمل لبلوغ هذه الأهداف، يعتمد النضال الحزبي التقدُّمي والكفاح الشعبي الوطني اللذين يشكلان في التزامهما ضماناً عملياً لتحقيق

الاتحاد العربي السليم.

إن الاعتمال بالمنهج القومي والتقدُّمي يستلزم مسالكته وأساليب تكوينه وعمله مع المبدأ الرئيسي للتطور وللإبداع العام الذي أوحى بميثاق الحزب التقدُّمي الاشتراكي: «التنوُّع ضمن الوحدة».

هـ - يعتبر الكفاح الشعبي في سبيل تحرير فلسطين من الصهيونية حافزاً رئيسياً لحركة التجمُّع العربي النازع إلى الوحدة. ويرى الحزب أن قيام الاتحاد العربي العلماني الديمقراطي اللامركزي يشكّل نطاق ضمان للتعايش اليهودي داخل الكيان الفلسطيني الديمقراطي، لصهر الفئات اليهودية في المجتمع العربي ضمن تنوُّع متناسق وخلاّق».

ثانياً - مفهوم كمال جنبلاط للقومية:

يرى كمال جنبلاط أن القومية، في شكلها الحديث التي ظهرت في أوروبا حوالي منتصف القرن التاسع عشر، ليست إلا شكلاً رفيعاً وظاهرة منفصلة لتنظيم المجتمع وسيطرة الآلة عليه.

فقد جاء في مقال للرئيس كمال جنبلاط حول مفهومه للقومية الآتي[1]:

«لا يمكن فصل القومية عن البحث عن الوحدة، فبقدر ما يدفع التعامي بالإنسان إلى البحث عن المطلق والوحدة في الخارج بقدر ذلك تكون القومية متطرِّفة متركّزة في أنانيّتها المغلقة وتقضي على الحرية في الإنسان وتطرح بالمؤسسات الحرة في كنف المجتمعات الحديثة. وبقدر ما يستطيع الإنسان أن ينصهر في جوهره، في محوره الذي لا يتحرك والذي لا يتبدّل، وبالتالي الحر، بقدر ذلك ينعم الإنسان بالحرية ويشيع حوله توق الاهتمام بالمؤسسات الحرة والحرص عليها».

وخلص الرئيس جنبلاط في المقال إلى إعطاء بعض التوجيهات التي تساعد على دمج القومية في المرحلة العالمية

(1) معلومات مستقاة من مقال للرئيس كمال جنبلاط في الأنباء، العدد 253، الجمعة 1 حزيران 1956، ص 3.

للبشرية من خلال[1]:

«1 - تدويل وسائل الإنتاج الكبرى.

2 - تشجيع خلق الكُتَل الإقليمية السياسية على مثال الجامعة العربية.

3 - تدويل وسائل الدفاع وخلق مؤسسات اتحادية فدرالية.

4 - خلق بركان دولي يشترك فيه ممثلون مباشرون من مختلف الشعوب والبرلمانات القومية.

5 - تشجيع تبادل القضاة الدوليين بين مختلف البلدان.

6 - تطهير الكتب المدرسية من التعصُّب والانحراف الوطني الذي تتميز به.

7 - تبادل أوسع وأكثر حرية بين الثقافات وللمعلومات والأنباء والزيارات.

8 - تعزيز نشوء وبقاء الحضارات الآسيوية التي هي حضارات حقيقية حسب المفهوم الألماني للحضارة «كلتر».

9 - تخفيف وحتى إلغاء الأسباب الاقتصادية والاجتماعية العميقة التي تجعل من القومية أداة هرم للحريات الفردية.

10 - إنشاء نقطة خامسة تعنى خصوصاً بالضمانات الاجتماعية للأمم المتخلِّفة اقتصادياً وتكون برعاية الدول «المثرية».

11 - أخيراً، تعديل الموقف السياسي العدائي أو التجاهلي الذي يقفه العرب من الشعوب الأخرى».

أ - دور القومية في تقوية المجتمعات الحرّة:

في مداخلة كُتبت بالفرنسية قُدّمت إلى مؤتمر ميلانو حول مستقبل الحرية، أبدى الرئيس كمال جنبلاط رأيه في دور القومية في تقوية المجتمعات الحرّة أو في تقويضها. ونظراً لأهميّتها في فهم الفكر القومي للمعلّم، نقتطف منها الأفكار الآتية[2]:

(1) المرجع نفسه.

(2) كمال جنبلاط، أضواء على حقيقة القضية القومية الاجتماعية السورية - الفكرة القومية، الدار التقدُّمية، المختارة، 1987، ص 173 - 189.

1 - واجه العالم منذ أقدم العصور قضية القومية وتأثيرها على المجتمعات الحرة. فمنذ العهد القديم انتشرت الجمهوريات الكنعانية الشقيقة المستقلة استقلالاً ذاتياً على الأقل، وكانت الحاضرات التجارية الحاملة اسم بيبلوس وبيريت وصيدون وصور.

لذلك، ليس من المُستغرَب أن يشهد العالم الحديث تيارات القومية والانعزالية والإقليمية التي تهزّ العالم العربي وتدفعه إلى رفض كل مساومة مع إسرائيل وكل تحالف مع أوروبا. وهذه التيارات تستنهض العالم العربي على مصارعة الغرب.

2 - سيظلّ مركّب النقص يلعب دوراً في حياة البشر كونه ظاهرة تميّز المجتمعات المتخلّفة اقتصادياً والمغلقة. ومن الممكن أن يتحوّل إلى مركّب المجد والعظمة الجماعية والتعصُّب القومي وإلى إرادة السيطرة والقوة.

هذه القومية المشدودة على ذاتها تمهّد الطريق لظهور الهرطقات السياسية والاجتماعية أو الأنظمة الكليّة. فظاهرة تدخُّل الدولة على الإنسان الحديث قد بلغت حدّاً من حدّة التأثير ما جعلها أحد الأسباب الرئيسية لظاهرة الأنظمة الكلية، من النازية إلى الفاشية إلى الشيوعية.

3 - لن تتوصّل الجماهير في مجموعها إلى بلوغ الهدف المنشود من القومية دون خلق جهاز إكراه دولي يكون بمثابة وحدة أو اتحاد دول عالمية، ويلعب بالنسبة إلى الأمم الدور الذي تلعبه الدولة بالنسبة للمواطنين.

4 - لا يختلف العالم العربي، فيما خصّ قضية القومية، عن الشرق بوجه عام: فهو يشكو من مركّب النقص أكثر مما تكشو منه ربما أوروبا والولايات المتحدة والعالم السوفياتي. إن مركّب النقص في الشرق تورّط بعيداً في القومية، بسبب الشعور والحرمان والاستصغار الذي يحسّ الشرق أنه مسؤول عنه، على أثر التقهقر والجمود الذي تميّز به عهد الانحطاط في الشرق طوال قرون عدة. وهذه المسؤولية يتحسس بها الشرق بالنسبة إلى المدنية الحديثة التي يشعر أنه حُرم منها.

وجاء في المداخلة عن العالم العربي[1]:

«لقد خلقت المدنية الآلية الحديثة مركّب النقص الخفيّ، هذا الذي يحسّه الشرقيّ ذاته وتجاه الغرب، وزادت في نموّه وحدّته. لأن المدنية الغربية أصبحت، بفضل أهمية مظاهرها المادية العديدة وقدرتها المتناهية ولعب سحرها المتعدّد الوجوه والانعكاسات، والأمل الذي غذّته بتطوُّر وقدرة للإنسان لا حدّ لها، أضحت المدنية الغربية بفضل ذلك، المثل الأعلى الذي ينبغي على كل فرد كما يتوجب على كل أمة أن تبلغه، وإلا استصغرت معنوياً في المجال الدولي واحتقرتها سياسياً كل من الكتلتين الشيوعية والغربية. فتسمية البلدان العربية «بالبلدان المتخلّفة اقتصادياً» جديرة بأن تذكّر الشرقيين بمركزهم في العالم. ولأن المقياس المُتّخذ ليس قيمة الإنسان، كما كان في سائر المدنيات السالفة (عهد كان عباد «برهما والطاو» يؤلفون الفئة المسيطرة التي تسمو على الملك، وعهد طبقة الفرسان في الأجيال الوسطى المسيحية التي كانت الصورة والمثل اللذان يقلدان)، بل أضحى المحك هو كمية التحقيقات المادية ونوعيّتها.

ويزيد المعضلة حدّة، انحطاط المؤسسات والحضارات المعروفة بالشرقية، والتي لو قيّض لها أن تستمر، لكانت منعت الشرق أن يحذو حذْوَ الغرب تماماً ويتبع مَثَلَه الأعلى، مقلِّداً تقليداً حرفياً، مأخوذاً بأوهامه وآثاره التي هي، إلى رؤيا مار يوحنا الحبيب حول نهاية الكون وزواله، أقرب.

وإن كنت، كشرقي تغرّب وألمّ في آن واحد بالحكمة الآسيوية التي لا تتغير ولا تتبدل عبر العصور المتحوّلة، يمكنني أن أدرك نوعاً ما وأحيط بعناصر المعضلة فأقول: إن المدنية الحديثة، بوصفها تستهدف الأغراض أو المُدْرَكات وتوفُّرها أكثر مما تستهدف الشخص المدرك أو الإنسان، وترمي إلى رُقيّ الغرض أكثر مما تهدف إلى رُقيّ الإنسان، فإن مركّب النقص هذا ونتاجه القومي المتطرِّف

(1) المرجع نفسه.

سيفعلان حتماً في عقلية شعوبنا..».

وأبدى الرئيس كمال جنبلاط بعض الملاحظات حول العالم العربي كالآتي:

5 - إن الموقف الذي يظهره العالم الخارجي، والغرب خاصة، في عدة معضلات تهمّ العالم العربي، هو موقف خطير ويثير المشاعر الجماعية ويخلق الظاهرات العاطفية التي تتراوح بين التخوُّف والتعصُّب الوطني والحقد. فالحركات العربية السياسية الاجتماعية الفتية، الاشتراكية أو التقدُّمية منها، لم تنجُ من هذا الخطر والرفض الذي أقامه العرب تجاهها. وهذه الحركات تضمّ الفئات المختارة والمثقفة في البلدان العربية التي تمثل المستقبل وتعبّر تعبيراً سليماً عن التطوّر السياسي والاجتماعي وتشكّل رأسمالاً وحصناً ضد الشيوعية وخير صلة بين الغرب من جهة وآسيا العربية والمسلمة من جهة أخرى.

6 - الملاحظة الثانية تتعلق بمعضلة إسرائيل ووضعها التأسيسي في الشرق على أساس ديني عرقي وحافظ عليه وسط مجموعة من الشعوب المعادية. وكان واجب العرب يقضي بحل المعضلة على أساس قومية منفتحة إنسانياً، هي وحدها الوصفة المحكّمة التي يمكن الإشادة بها في هذه المنطقة الحساسة من العالم.

كان على الغرب أن لا يتورّط في إنشاء إسرائيل وجلب اليهود إليها من مختلف أقطار العالم، بل إنشاء اتحاد فيدرالي عربي يهودي أو وحدة فدرالية، من ضمن الكيان الفلسطيني العربي ذاته السابق لجريمة التقسيم. وهكذا تبقى فلسطين على لونها العربي وجوهرها وشرقيّتها، ويمكن بالتالي دمجها سياسياً في مجموعة بلدان الشرق الأدنى العربي.

7 - الملاحظة الثالثة تتعلق بالحكام والزعماء العرب الذين قد يلجأون إلى القومية كسلاح ذي حدين، بعد أن عجزوا في معظمهم عن إقامة ديمقراطية سياسية حقيقية. ويهدف ذلك إلى بقائهم في مراكز القيادة الشعبية والحكم وتأخير التطور الاقتصادي والاجتماعي للشعب الذي قد يضرّ بمصالحهم.

8 - الملاحظة الرابعة تتعلق بإقامة تكتل وتجمع إقليمي على أساس ثقافي حضاري أو قاري. ففي العالم العربي

لعبت جامعة الدول العربية دوراً مقرّباً بين الشعوب العربية، فحدّت من قوة التناقضات الألفية التي قامت منذ القديم بين مصر الفرعونية أو الفاطمية، وبين العراق الآشوري الكلداني أو العباسي.

وتدخل في نطاق فكرة التجمّع الإقليمي السليم بعض المحاولات الأخرى كمؤتمر الأحزاب الاشتراكية الآسيوية الذي دعا إلى تأسيسه الحزب التقدُّمي الاشتراكي اللبناني.

ورأى الرئيس كمال جنبلاط ضرورة قيام رابطة حقيقية للتعاون الآسيوي الأفريقي لدعم استقرار العالم العربي وتعجيل حركة تحرر الشعوب التي ما زالت مستعمرة.

ب - القومية والوحدة

يرى المعلم كمال جنبلاط أنه لا يمكن فصل القومية عن الوحدة في العالم العربي. ولاحظ أن أهل القرى باشروا هدم مؤسسات الأجيال الوسطى في أوروبا وبدأوا عهد الديمقراطية السياسية على نداء «تحيا الوحدة». وعلى مثل هذا النداء يتجمّع الشيوعيون ويتكتلون في كل بلدان العالم على نداء «يا عمال العالم اتحدوا».

«فبقدر ما يدفع التعامي بالإنسان إلى البحث عن المطلق والوحدة في الخارج، بقدر ذلك تكون القومية متطرّفة متركّزة في أنانيتها المغلقة وتقضي على الحرية في الإنسان وتطوح بالمؤسسات الحرّة في كنف المجتمعات الحديثة. وبقدر ما يستطيع الإنسان أن ينصهر في جوهره، بقدر ذلك ينعم بالحرية ويشيع حوله توق الاهتمام بالمؤسسات الحرة والحرص عليها»[1].

وأورد الرئيس كمال جنبلاط بعض التوجيهات التي تساعد على دمج القومية في المرحلة العالمية البشرية، وذلك كالآتي[2]:

- تدويل وسائل الإنتاج الكبرى وتوجيه مختلف الاقتصاديات القومية على

(1) المرجع نفسه، ص 183 - 184.

(2) المرجع نفسه، ص 186 - 187.

الصعيد الإقليمي والدولي.

- تشجيع قيام الكتل الإقليمية السياسية على مثال جامعة الدول العربية.

- تدويل وسائل الدفاع وخلق مؤسسة اتحادية فدرالية ملائمة.

- خلق برلمان دولي يشترك فيه ممثلون مباشرون من مختلف الشعوب والبرلمانات القومية.

- تشجيع تبادل القضاة الدوليين بين مختلف البلدان.

- كتابة التاريخ من جديد بواسطة مؤسسة دولية كالأونيسكو.

- تبادل أوسع وأكثر حرية بين الثقافات والشعوب.

- تخفيف وحتى إلغاء الأسباب الاقتصادية والاجتماعية العميقة التي تجعل من القومية أداة هدّامة للحريات الفردية.

ج - لبنان والقومية العربية أو لبنان العروبة

في مقال للمعلِّم كمال جنبلاط بعنوان «الانجذاب السحري أو الوجه الساحر للقومية» أورد فيه مطالعة مميّزة حول مفهوم القومية وعلاقتها بلبنان وحول لبنان والعروبة. من أبرز ما جاء فيها من فكر الرئيس ورؤيته للأمور نذكر[1]:

1 - هل يشعر اللبنانيون بأنهم جماعة؟ وهل يتحسسون برباط مشترك هو رباط القومية اللبنانية؟

والجواب على ذلك هو بالنفي، لأن الشعور العام هو أنّ كل طائفة دينية في لبنان لا تزال تشعر أنها جماعة منفصلة ومتميّزة في مصالحها عن الطائفة الأخرى. فمصلحة الطائفة هي التي تفرض مصلحة السياسة والدولة ومفهوم القومية والوطن.

والقومية اللبنانية غير موجودة حتى الساعة.

(1) كمال جنبلاط، في مجرى السياسة اللبنانية، الدار التقدُّمية، المختارة، 1987، ص 55 - 76.

والحل هو بالعلمانية القومية أي تقرير علمانية الدولة وتكريسها بالأنظمة والنهج السياسي والقوانين. والعلمنة ذاتها تمهيد لتطبيق الاشتراكية أو بعض مضامينها الاجتماعية. ولا يمكن صهر الشعب اللبناني اجتماعياً وسياسياً، إلاّ بتوثيق التضامن الاجتماعي بين أبنائه.

2 - إن الثورة الاشتراكية التعاونية الكبرى التي بدأ يحققها الرئيس عبد الناصر دفعت بالشعوب العربية إلى الوحدة الاجتماعية وفي اتجاه يقود إلى علمنة الدولة. وهذه الوحدة أخذت تتجلى في نموّ تيّار القومية العربية.

كما أن انتصار الشيوعية في العراق، إذا ما تمّ بالنسبة لفكرة الوحدة العربية، سيحاول تحويل القضية العربية إلى نوع من «الأممية» على غرار عالم القوميات في الاتحاد السوفياتي. فالفكرة القومية ستظلّ المحرك الأساسي الأول للسياسة العربية في الجيل الذي نعيشه.

3 - في لبنان نفضّل أن نتكلم عن الوطنية العربية أو عن العروبة بدلاً من الكلام عن القومية العربية، فمنذ أن انطلقت القضية العربية ساهم اللبنانيون المساهمة الفعّالة الأولى فيها. فالحركة الاستقلالية لفخر الدين الكبير لا يمكن أن تنفصل عن الحركة الاستقلالية العربية.

4 - العروبة في لبنان أضحت صفة ملازمة للشعب وللدولة منذ أن وُلدت القضية العربية في الشرق. هذا هو واقع تقاليدنا العربية الشرقية وواقع اقتصادنا وذهنيتنا وعاطفتنا وتفكيرنا.

ولا يمكن للبنان أن يجد صفة بارزة ملازمة له من الوجهة السياسية والاجتماعية غير الصفة العربية. وقد تأكد ذلك من خلال انتسابه إلى جامعة الدول العربية ومشاركته في الصراع العربي - الإسرائيلي.

وتساءل المعلِّم كمال جنبلاط[1]:

«كيف يمكن مثلاً أن تستطيع دولة أو سياسة أن تفصل من الوجهة السياسية، لا المذهبية الدينية، بين مواطنين لنا في

(1) المرجع نفسه، ص 69 - 71.

الشوف وراشيا وحاصبيا ومنطقة عاليه والمتن الأعلى، وبين سكان جبل العرب، جبل الدروز... نضالهم قد اشترك واشتبك، عبر التاريخ، بنضال اللبنانيين، وكانوا ولا يزالون، نسعى لصوتهم ويركضون لندائنا...

ولا يمكن أن ننسى مثلاً رفاقنا وإخواننا، من مسيحيين ومحمديين، الذين ناضلوا وجاهدوا وقُتلوا في انطلاقة الثورة العربية الأولى..

خطؤنا أننا نحاول الفصل بين ولاءين أو بالأحرى ثلاثة ألوان من الولاء لا يناقض أحدها الآخر على الإطلاق:

-الولاء للوطن اللبناني.

- الولاء للعروبة وللوطن.

- الولاء للإنسانية ولوطننا الأم الكبير».

5 - علينا أن نلاحظ أن العروبة، بوصفها حضارة، تقوم على الإسلام. فالقيم الخاصة بالإسلام لا يمكن إغفالها أو التهرّب منها. فكل قومية في الغرب تصطبغ إلى حدٍّ بعيد أو قليل بالدين المسيطر في هذا البلد أو ذاك. فعلينا في الشرق أن نقبل بالواقع الذي نحن فيه وأن نرتضي بالبيئة التي نعيشها، وعلينا أن نواجه الإسلام كنظام اجتماعي شرقي وكحضارة، لا كدولة. فهذه الروح من السماح العربي الإسلامي لا يمكن إلاّ أن تفعل فعلها فينا جميعاً، نصارى كنا أو مسلمين.

د - القومية ومشروع الوحدة العربية الفدرالية

رغم رفضه للمشاريع الفدرالية الضيّقة والتي تقتصر على بعض الدول العربية كمشروعَيْ «سوريا الكبرى» و«الهلال الخصيب»، ورغم إيمانه المطلق بلبنان العربي التقدُّمي، نادى كمال جنبلاط بالوحدة العربية الفدرالية مع الأخذ بعين الاعتبار التاريخ الاجتماعي والإثني والديني والثقافي للبنان الوطن. كما تنبّه المعلّم إلى الفروقات البنيوية بين الدول العربية عندما طرح الحلّ المناسب للوحدة العربية ضمن مشروع «دستور دولة الاتحاد العربي».

ومن الأفكار التي وردت في المشروع نقتطف الآتي[1]:

1 - الالتزام بالمشاركة في النضال لتحقيق الوحدة القومية وفق حقيقة نظام اتحادي فدرالي لامركزي يكفل الحريات العامة وحرية المعتقد والخصائص الحضارية للجماعات في الوطن العربي.

2 - مراحل الاتحاد تبدأ بالسوق الاقتصادية العربية المشتركة، ثم تنتقل إلى الشأن العسكري من خلال إنشاء جيش عربي موحَّد مع احتفاظ كل دولة بجيشها الخاص. يتلقى هذا الجيش أوامره من قيادة عربية مشتركة ضمن إطار جامعة الدول العربية.

وهكذا لا يمكن لدولة عربية أن تهيمن أو تطغى بسياستها على دولة أخرى. كما أن حرية الرأي والمعتقد كحقّ أساسي من حقوق الإنسان تكون أيضاً مصانة. إلا أنّ الوضع في العالم العربي لم يكن يومذاك جاهزاً للانتقال إلى مرحلة الفدرالية وفق ما يراها المعلّم، فقد جاء في كتاب «هذه وصيتي» لكمال جنبلاط الآتي[2]:

«والحق أن بإمكاننا التساؤل عما إذا كانت كافة هذه الأنظمة «التقدُّمية» العربية في المنطقة ترغب حقاً في إقامة الديمقراطية والاشتراكية. فحتى على الصعيد الاقتصادي يظل الجواب مشكوكاً فيه: إذ ما هي هذه الطبقة من المليونيرية التي بدأت تطلّ علينا (من تجّار الأراضي وملاّكي العقارات ومديري المصارف والفنادق والمتعهّدين وما هبّ ودبّ من المتّجرين؟) إن استقلالنا مشفوعاً بوجهة نظرنا في الديمقراطية السياسية التمثيلية وفي الاشتراكية والاقتصاد الاشتراكي يرعب الملأ كله. وكذلك الأمر بالنسبة إلى منحانا نحو البقاء مستقلّين على صعيد العروبة وصعيد مفهومنا للوحدة الاتحادية على الطريقة الهندية، أو الأميركية أو السويسرية والتي لا علاقة لها بالمشاريع المزيَّفة «للوحدة العربية» التي يطلقها بين الحين والآخر أهل الحلّ

(1) د. عفيف فرّاج، كمال جنبلاط المثالي الواقعي، الدار التقدُّمية، المختارة، 1987، ص 121 - 125.

(2) كمال جنبلاط، هذه وصيتي، الدار التقدُّمية، المختارة، 1987، ص 32.

والربط، إلهاءَ الشعوب، ومخادعة لها. إنها من قبيل مشاريع التعاون الجاهزة سلفاً، والتي تقتصر على تحقيق هدف سياسي بائس على الصعيد الدولي، أو المعدّة لمجرد التخلُّص من بعض الصعوبات الآنية أو لاتقاء هذه الدولة المنافِسة أو تلك اتقاءً مؤقتاً، أو للتأكيد على شعار الوحدة من دون تحقيقه مطلقاً. فالرغام والذهب، والعملة الجيدة والنقد المزيَّف، والفرّيسية والصدق، هي عناصر تختلط وتتمازج جميعاً في هذه الفوضى السياسية العربية، المبهمة المحيِّرة. إنه لأمر يدمي القلب. ثم، وفي خلفية ذلك كله يتراءى الخوف من أن يسبقك سواك ويبزّك في العلم: إنها الأنا القَبَلية، والأنا الحزبية والأنا الوطنية».

والصيغة التي اقترحها كمال جنبلاط للاتحاد الفدرالي تراعي وضع الأقليّات الطائفية والمذهبية في العالم العربي كونها تعتمد القومية والوطنية كبديل عن الانتماء الطائفي أو المذهبي. والصعوبة الكبرى في تقبُّل هذه الفدرالية أدرك أنها تكمن لدى المسيحيين في لبنان، ولذلك أكّد «إننا نرى بعين الواقع أنه يصعب على اللبنانيين أن يقبلوا بالعروبة بمعناها التوحيدي السياسي، على الأقل في هذه المرحلة من تاريخ بلادهم»[1].

هـ – القومية العربية والإسلام

طرح المعلّم كمال جنبلاط بجرأة موضوع تأثير الدين الإسلامي على إمكانية تحقيق الوحدة من خلال القومية العربية. فقد كتب عن مفهومه للعروبة والإسلام والعلاقة بينهما والفروقات في مفهوميهما ما يأتي[2]:

«العروبة، في مفهومنا، رابطة حضارية، حضارة أكثر مما هي قومية بالمعنى الصحيح. إذ ما من أمة في العالم تشمل، أو يمكن أن تشمل، هذا الامتداد والانتشار الكبير جداً لمختلف الشعوب والبلدان التي تفصلها البحار والصحارى والجبال، وسواها من

(1) محاضرة في الندوة اللبنانية بعنوان «لبنان في واقعه ومرتجاه»، أُلقيت في 10 كانون الأول 1956.

(2) كمال جنبلاط، لبنان في واقعه ومرتجاه، الدار التقدُّمية، المختارة، 2002، ص 46 - 55.

العقبات الجغرافية، والتنوّع الشديد في المناخات والأجناس والأقاليم، وسواها من معالم التمييز والتفريق والتنوّع.

وهذه الحضارة تستند إلى مقوِّمَيْن أساسيَّيْن بارزَيْن: الدين واللغة، وكذلك معالم البداوة المتبقية في العادات الاجتماعية، وفي الاقتصاد، والسياسة، والبداوة، ونصف البداوة، هي الغالبة على الشعوب العربية. كما أن الحضارة الغربية الأوروبية بشكل خاص لا يمكن فصلها عن المسيحية ومفهومها ونظرتها للإنسان من جهة، وعن التراث اليوناني الروماني وتشخيصه للفرد وللمواطن من جهة ثانية، وعن التقنية العلمية والصناعية من جهة أخرى.

والدين الإسلامي لا يكفي لتحديد العروبة... فكل مسلم ليس بعربي، بل اللغة هي أيضاً عنصر ضروري لهذا التحديد: لغة الضاد. فكل من تكلّم لغة الضاد وكان مسلماً من حيث المعتقد، أو من حيث التراث فقط، أو طابع التبدّي دون المعتقد، كان عربياً.. فالمستشرق مثلاً، إلاّ إذا أبدل تراثه الخاص بالتراث العربي، ليس بعربي ولو كان مسلماً... على أن التراث المعنوي والسياسي والحضاري الذي تختزّنه هذه اللغة وتنقله للأجيال في مفاهيمه وقيَمه هو تراث إسلامي، مشبع بحضارة الإسلام وتحققاته عبر التاريخ. لأن العروبة من حيث هي حضارة لا يمكن أن تنفصل عن الإسلام، وإلاّ أضحت هذا الإطار السياسي الفارغ من كل عمق تاريخي وتكاثف تراثي... فمؤسس الإسلام هو ذاته الذي يعتبرونه اليوم مؤسِّس فكرة القضية العربية، ولو أنه لم يفكر بالعروبة التي نقصد... والحضارة الإسلامية التي لمعت وازدهرت ما يقرب من جيل ونصف الجيل في بداياتها، على تفتّح مدهش وتقبّل وربط إنساني شامل عجيب تكاد، في نظرنا، حضارة أوروبا ذاتها لا تتلمس بعض قممه - بخاصة في الاقتراب من الحقيقة الأخيرة والتعبير عنها في الصوفية، والأدب، وبعض وجوه الفلسفة، وفي الشعر التحققي، وربما أيضاً في الفن وتقنية البناء - وفي مستوى من التمزيق الكامل لمحدوديات الزمان والمكان، ومن تجاوز المعتقد الجامد الصرف إلى الإشراف على ربى الإنسانية والألوهية -

هذه الحضارة التي نعني كانت حضارة الإسلام، الوارث والمؤلف لتراث من سبقه من حضارات.

وكلمة القومية ذاتها بمدلولها الحاضر هي غير موجودة في قواميس اللغة العربية وإنما ابتكرت لهذا المعنى في منتصف القرن التاسع عشر تقريباً، كما ينبّهنا إلى ذلك مؤلف شهير.

وعلى هامش الملاحظة، وعلى اعتبارها قضية الأساس، قد تكون مشكلة المسيحيين والأقليات المعتقدية والفكرية في الشرق العربي كافة قائمة على أن تقبل أو لا تقبل أن تكون «مسلمة» بالمعنى الذي أشرنا إليه، أي أن تشارك الإسلام في بعض مفاهيمه للأشياء وشواعره، وبخاصة تصوّره إياها وتعبيره عنها، أي أن تقبل هذه الأقليات بالإسلام مرتكزاً ورائياً Back-ground لها: أن تكون مسلمة إسلاماً حقيقياً - من وجهة تحقّق هذه الرابطة الفكرية والسياسية والحضارية - وذلك دون أن تفقد هذه الأقليات طابعها المميّز الخاص، وتراثها الفني الوارف والحي أيضاً.

وقد تكون مشكلة الحاكمين للدول العربية، في مقابل ذلك، أن يعدلوا عن سياسة الصهر الكبتي المفروض، وقطع الرؤوس، وأن يعتمدوا مبدأ تنمية الرؤوس وتعاونها الحر في الانسجام، لا في تساوي الإكراه والانعدام أمام سلطان الدولة.

وفي رأينا أن ذلك الانصهار «الحقيقي» لن يتم، ولن يحل الانسجام الذي نلمح إليه، إلاّ إذا عدنا إلى الإسلام كما بدا عليه في بعض تحققاته التاريخية العظيمة، وبخاصة في حقبة الجيل ونصف الجيل الذي انفتح فيها على كل تراث قائم ودخيل؛ فعبّ واستوعب من اليونان والرومان والفرس، وحتى من الشرق الأقصى، ما استطاع، وفي جو من حرية النقاش والاستيعاب والاستنتاج والرأي تامة. وأنتج العرب والمسلمون فيها أروع ما أنتجوا على مرّ التاريخ، قبل أن أوصد باب العقل في القرون الوسطى - القرون الوسطى الأوروبية والقرون الوسطى العربية التي لا نزال نتخبّط فيها.

على هذه القمم المشرقة بنور العقل

الطالب للحقيقة أياً كانت، وفي هذا المستوى الذي يتعدّى مفهوم الزمان والمكان، على هذا السفح المنفتح على التحقُّق الإنساني العميق، تستطيع الأقليات الدينية والفكرية في الشرق أن تتلاقى مع الإسلام وأن تنصهر فيه وتلقى نفسها فيما بعد في هذا الانصهار ذاته متنوّعة في بوتقة واحدة... وفي هذا المرتقب أيضاً يستطيع الإسلام بدوره أن ينفتح بدون تحفُّظ للأقليات كافةً وأن يحتضنها وأن ينصهر فيها لأنها تكون هي قد تمكنت من أن تنصهر فيه.

وقد تكون العقبة المانعة للأقليات المعتقدية والإثنية وسواها أنها هي أيضاً لم تخرج، ولم تفلت تماماً بعد، من ذهنية بيئة القرون الوسطى الفكرية.

مشكلة الإسلام العربي - كمشكلة كل معتقد - في أن يكون إسلاماً بما تضمنته نزعته الأساسية من قبول وتكريس وتكريم واحتضان لكل ذي كتاب. ويذهب بعض المسلمين في التأويل إلى القبول بكل رسالة وكتاب مُنزَل، سابق للدعوة المحمدية أم لاحق على السواء. (راجع بعض كبار الأئمة والصوفية في الأمر).

وجميع الناس في النهاية، يلتقون على الشواطئ المتقابلة ليغرفوا الماء ذاته من الأوقيانيوس. وإنما، في جهلهم، يختلفون على درجة ملوحة أو عذوبة مياه البحر.. كلهم في النهاية، نصارى، وكلهم، في النهاية، مسلمون...».

و - القومية وإسرائيل

رأى المفكّر كمال جنبلاط أن إقامة إسرائيل من قِبَل الغرب كانت ضربة كبرى وجّهت للقومية العربية والعالمية. فقد زرع الغرب في فلسطين كياناً سياسياً قائماً على الأسس الدينية والعنصرية.

وبرأي كمال جنبلاط، يكمن الردّ على هذا التحدي، بالإعلان عن قيام قومية عربية عرقية تبتعد عن المظاهر الطائفية والمذهبية والمناطقية لتنسجم مع وطن عربي كبير يجمع الأقطار العربية في وحدة فدرالية مع احترام كامل للخصائص الحضارية والثقافية والتراثية لكل من المجموعات الشعبية في هذا الاتحاد الكبير.

وأدرك كمال جنبلاط أن الوجود الإسرائيلي الغاصب قد ولّد لدى العرب

إرادة للصراع ورغبةٌ في الانتقام. كما لفت أوروبا إلى أنه «إذا لم تُحلّ مشكلة إسرائيل، فإنها ستظلّ خميرة الفتنة وصاعقة أو فتيل هذا التجمّع العربي كله ومفجّر إرادة القوة وروح الانتقام لديه»[1].

ز - القومية والتقدُّمية الاشتراكية

جاء في كتاب «ربع قرن من النضال» مطالعة معبِّرة عن رؤية التقدُّمية الاشتراكية للقومية، أبرز ما جاء فيها[2]:

«تعتبر التقدُّمية الاشتراكية أن القومية شعور جماعة معينة تتميّز ببعض ما لها من صفات مشتركة عن جماعات أخرى. وأما «الجماعة المعينة فتتحدد بواقعين أساسيين: المكان والتاريخ. والمكان هو ملتقى وبوتقة مصالح وانعكاسات العلاقة المادية المشتركة للجماعة. ولا يقوم الفرد بدون الجماعة، والإنسان كائن اجتماعي بهذا المعنى. والقومية تجذب الناس إليها بما تحققه من نجاح وظفر وسيطرة، وبما تتضمن من قوة ناجمة عن ارتباط المواطن بالآخرين، وعن حركة التضامن والتعاضد والتعاون. والشعور بالقوة يتجاوب، جذرياً، مع مطالب صيرورة الوجود الإنساني.

إن الخطأ الأيديولوجي في لبنان ناجم عن الخلط بين القومية اللبنانية والمسيحية من جهة، وبين القومية العربية والإسلام من جهة أخرى. نتج عن هذا الخطأ «ازدواجية في التفكير» وتبلورت هذه الازدواجية في تيارين: تيار موال للبنان وللغرب فقط، وتيار موالٍ للبنان والعروبة. وتقدُّم التقدُّمية الاشتراكية حلاً جوهرياً لهذه الازدواجية الأيديولوجية وذلك برفضها لسيطرة طائفة مكان طائفة أخرى، وبتقريرها لعلمانية الدولة وتكريسها بالأنظمة والنهج السياسي والقوانين والدستور.

القومية العربية لا تنفصل عن النضال من أجل تحقيق الوحدة العربية وتحرير الشعوب وتساويها بعضها بالنسبة للبعض الآخر في إطار المؤسسات الدولية وفي

(1) د. عفيف فرّاج، مرجع سابق، ص 127.

(2) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 126 - 128.

مفهوم موحَّد للنطاق الدولي وللحق الدولي. ولا بدّ للقوميين من التخلُّص من الذهنية الصنمية. ولذا لا بد أن تكون الاشتراكية الإطار الداخلي السليم للوحدة الوطنية والعربية والإنسانية، بما يضمن حرية الإنسان الحقيقية.

تبيّن لنا ممّا تقدّم أنّ التقدُّمية الاشتراكية تؤمن بعروبة لبنان، وبأن عروبته لا تنفصل عن القومية العربية المنفتحة - كتعريف لشعور الشعب العربي بوحدته - وتؤمن بان الاشتراكية هي الضمان الوحيد لإنسانية الإنسان. وهذا يعني أن الحزب التقدُّمي الاشتراكي هو من صميم حركة النضال العربي، وأنه مناوئ عنيف للتيار الانعزالي في لبنان».

ثالثاً - مواقف الحزب التقدُّمي الاشتراكي العربية والإقليمية

اعتبر الحزب التقدُّمي الاشتراكي نفسه، وما يزال، حزباً اشتراكياً عروبياً، ونادى بالتعاون العربي في مختلف الميادين السياسية والثقافية والعلمية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية. ويكاد لا يخلو خطاب لرئيس الحزب السابق أو الحالي، الرئيسان كمال ووليد جنبلاط، من المناداة بعروبة لبنان وبأصالته وتجذّره في التاريخ العربي، وبنضال الحزب ونضال لبنان في سبيل دعم القضايا العربية والمساهمة في رفع الشأن السياسي للعرب عامّة.

هذه المفاهيم الاشتراكية العروبية دخلت في تراث الحزب وبرزت في أدبياته وعلاقاته مع الآخرين وفي تحرّكاته ونضاله المستمرّ في إطار القومية العربية التاريخية.

أ - الموقف من الدفاع المشترك للدول العربية:

في الحادي والثلاثين من شهر تشرين الأول 1951 أصدر مجلس قيادة الحزب بياناً حدّد فيه موقفه من الدفاع المشترك كالآتي[1]:

«يطلب إلى الحكومة اللبنانية:

(1) جريدة الأنباء، العدد 56، 31 تشرين الأول 1951.

1 - أن تؤمّن بقاء لبنان حالياً في حالة الحياد.

2 - أن تسعى لعقد اتفاقات مع الدول المسالمة من شأنها الحؤول دون وقوع الحرب، وعند الاقتضاء، مجابهة كل عدوان.

3 - أن تعتبر كل تدخُّل من إحدى الدول الأجنبية، لإكراهها على القبول، أو وضعها أمام الأمر الواقع، خرقاً لميثاق الأمم المتحدة، وأن تستعمل إزاء الحقوق الممنوحة لها بمقتضى أحكام ذلك الميثاق».

ويومذاك علّقت جريدة الأنباء على هذا المشروع فكتبت[1]:

«المعروف أن الدفاع المشترك مشروع احتلال عسكري لبعض المواقع الاستراتيجية في البلدان العربية. مواقع استراتيجية بالنسبة للدول العربية.... إن قسماً كبيراً من العناصر الحاكمة يودّ قبول هذا المشروع لتجانس مصلحة الرجعية العربية مع سيادة الغرب بالاستعمارية».

ب - مؤتمر الأحزاب الاشتراكية العربية في بيروت:

مع بداية عام 1951 دعا الحزب التقدُّمي الاشتراكي الأحزاب الاشتراكية العربية إلى مؤتمر لها يُعقد في بيروت، شاركت فيه الأحزاب الاشتراكية العربية من لبنان وسوريا ومصر والعراق. عُقد المؤتمر بين العاشر والخامس عشر من آذار بصورة سرية.

وجاء في الدعوة التي وجهها الحزب أنه «وتنفيذاً لما ورد في برنامجه من أن الحزب يستهدف التعاون الأوثق مع الأمم والحركات الفكرية التي تشاركنا المَثَل الأعلى ابتغاء فهم وتضامن كونيَّيْن يحققان من خلال العائلة والأمة اتحاد المخلصين جميعاً، وإنه يؤيد التعاون الوثيق مع الدول العربية...»[2].

(1) المرجع نفسه.

(2) جريدة الأنباء، 16 آذار 1951، ص 4.

انظر ملحق رقم 2: نص دعوة الحزب التقدُّمي الاشتراكي الموجهة للأحزاب الاشتراكية العربية بتاريخ 26 كانون الثاني 1951.

وبالفعل، وصلت الوفود المشاركة إلى بيروت حيث عُقد المؤتمر كما كان مقرَّراً، وصدر بيان ختامي عن المؤتمرين. إلا أن الوفد المصري تعرّض عند وصوله إلى مطار بيروت إلى سحب جوازات سفر أعضائه بناء لطلب من السلطات المصرية التي اعتقلت رئيس الوفد عند عودته إلى مصر.

1 - استنكار اعتقال رئيس الوفد المصري

استنكر الرئيس كمال جنبلاط إقدام السلطات المصرية على اعتقال رئيس وفد الحزب الاشتراكي المصري بسبب مشاركته في مؤتمر الأحزاب الاشتراكية في بيروت وأصدر بياناً جاء فيه[1]:

«إننا نأسف لما يحصل في ديار مصر الشقيقة من اضطهاد لحرية الفكر، خاصة وأن المبادئ الاشتراكية أضحت اليوم أمل العالم الوحيد، وأمل الشعوب العربية، في التوفق لحلّ مشكلة الجماهير الشعبية حلاً تتوافق فيه حرية الفرد وحقوقه في الخبز والعمل والعلم والحياة الفاضلة وبين حاجات الجماعة في تنمية الإنتاج وفي تنظيمه وتوزيعه.

ولا يسعنا بالمناسبة إلا أن نحيي جهاد إخواننا الاشتراكيين في القطر المصري وما يواجهون من صعاب وأن نطالب رئيس حكومة مصر أن يُفرج عن رئيس الاشتراكية المصرية وأن يعاد إلى الاحزاب حريتها التامة».

2 - بيان الأحزاب الاشتراكية العربية:

بعد اختتام أعمال المؤتمر السري، أصدرت الأحزاب الاشتراكية العربية مجتمعة في بيروت بياناً، ذيّله الرئيس كمال جنبلاط بملاحظة حول اقتراحَيْن للحزبين اللبناني والمصري ووقعه.

أبرز الأفكار التي جاءت في البيان[2]:

* عقد مؤتمرات دولية دورية للأحزاب الاشتراكية العربية.

* مطالبة الحكومات العربية بإطلاق

(1) جريدة الأنباء، 27 تموز 1951.

(2) المرجع نفسه.

حرية العمل الحزبي والنشر والصحافة والاجتماع لهذه الأحزاب.

* استنكار معاملة السلطات اللبنانية لأعضاء الوفد المصري (سحب جوازات السفر).

* استنكار موقف حكومة مصر من وقف امتياز جريدة «مصر الفتاة» الاشتراكية وسجن رئيس تحرير جريدة الاشتراكية دون محاكمة.

* السعي لتعديل قوانين الانتخاب في الدول العربية بهدف تأمين التمثيل الصحيح للشعوب العربية في مجالس النواب والشعب.

* إقرار مطالب المرأة في الحقوق السياسية والاجتماعية.

* تقرير حق إنشاء نقابات للعمال الزراعيين وغيرهم.

* تعميم مجانية التعليم وإلزاميته في المرحلة الابتدائية.

* جلاء الجيوش الأجنبية عن وادي النيل والعراق وشرق الأردن ومراكش وليبيا، وإيجاد حل لقضية فلسطين.

* المطالبة بتأميم المرافق الحيوية في الدول العربية ومحاربة الاحتكار الأجنبي.

* توثيق روابط التعاون الاقتصادي بين الدول العربية.

* مناهضة دُعاة الاستعمار كي يعم السلام جميع أنحاء العالم تحقيقاً لمبادئ الاشتراكية العالمية.

ج - اقتراح تشكيل جيش عربي موحّد:

سبق وابرزنا خلال الأجزاء السابقة من هذه الموسوعة مواقف عديدة لرئيس الحزب التقدُّمي الاشتراكي حول إنشاء جيش عربي موحَّد يعمل لمصلحة الدول العربية ويكون جاهزاً لمساعدة أي من هذه الدول تكون بحاجة إلى خدماته، ولا سيما فلسطين.

ففي أواخر عام 1952، ورداً على قيام الحلف العراقي التركي الذي دُعي يومذاك «حلف بغداد» والذي سيكون له دور سلبي في توتر العلاقات بين الرئيسين كمال جنبلاط وكميل

شمعون[1]، أصدر الحزب التقدُّمي الاشتراكي بياناً استنكارياً جاء فيه[2]:

«يرى الحزب التقدُّمي الاشتراكي من واجبه أن يذكّر الشعوب العربية بالاقتراح الذي تقدّم به الحزب بواسطة رئيسه، الرفيق كمال جنبلاط، والقاضي بإنشاء جيش موحد يتألف من وحدات من جيوش الدول العربية تحت قيادة هيئة أركان عامة تتمثّل فيها هذه الدول، ويتناوب فيها الرئاسة سنوياً أعضاء هيئة الأركان المذكورة. ويُنفَق على هذا الجيش من صندوق مشترك تساهم بتغذيته جميع الدول العربية المشتركة ومن ضمنها واردات البترول.

والحزب إذ يعلن على الرأي العام هذا البيان يدعو الشعوب العربية لتأييده واستخدام جميع الوسائل التي تؤول لتحقيقه لأنه الحل الوحيد لدرء الخطر الصهيوني».

د - التنسيق مع الحزب الاشتراكي العربي في سوريا:

في إطار التعاون بين الأحزاب الاشتراكية العربية قام الرئيس كمال جنبلاط على رأس وفد حزبي بزيارة إلى سوريا في آذار عام 1954 بهدف التباحث مع الأحزاب السورية في موضوع التنسيق بينها ومشاركتها في الحكم. وبنتيجة الزيارة التي كانت إيجابية، أدلى رئيس الحزب بتصريح جاء فيه[3]:

«نزلاً عند رغبة إخواننا ورفاقنا البعثيين الاشتراكيين في سوريا، وتوضيحاً للحقيقة، نعلن أنّ المفاوضات التي قمنا بها في دمشق بناء لطلب بعض كبار المسؤولين كانت لإقناع حزب البعث الاشتراكي بدخول الحكم على أساس المساواة التامة في الحقائب الوزارية، بعد أن كان هذا الحزب قد أعرض عن الاشتراك في الوزارة. إن هذه

(1) سبق الكلام عن هذا الموضوع في الجزء المخصص لثورة 1958 من هذه الموسوعة.

(2) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 166.

(3) جريدة الأنباء، 20 آذار 1954.

المفاوضات قد أسفرت عن تقريب وجهات النظر بين البعثيين الاشتراكيين وممثّلي الأحزاب الأخرى. وكان من بين الحلول التي اتفق عليها حل يقضي بأن يكون هناك ثلاث حقائق لحزب البعث العربي الاشتراكي...».

وبعد هذه الزيارة تتابعت الاتصالات مع حزب البعث العربي الاشتراكي، فكانت عاملاً إيجابياً في قيام جبهة نضال واحدة للأحزاب الاشتراكية العربية، فعُقد لقاء تاريخي بين قيادة حزب البعث والحزب التقدُّمي الاشتراكي في 26 نيسان عام 1954، وصدر عن الاجتماع بيان مشترك جاء فيه[1]:

«اجتمع حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب التقدُّمي الاشتراكي في شتورا بتاريخ 26 نيسان 1954 وقرّرا تحقيق مبدأ التعاون بينهما في معالجة القضايا التي تواجهها البلاد العربية. والحزبان اللذان يشعران بهذه المناسبة التاريخية الخطيرة التي تمر بها البلاد العربية، بأنهما يلبّيان رغبة الجماهير العربية النازعة للاشتراكية ولمناهضة الاستعمار، يتوجّهان بدعوة حارة إلى جميع الحركات الاشتراكية العربية في سبيل تأليف جبهة توحِّد النضال الشعبي تحقيقاً لأهدافها في الحياة والحرية والعدالة...».

* * *

(1) جريدة الأنباء، 1 أيار 1954، ص 5.

ملحق رقم 2

نص الدعوة التي وجّهها الحزب التقدُّمي الاشتراكي إلى الأحزاب الاشتراكية العربية لحضور المؤتمر الأول لهذه الأحزاب في بيروت بين 10 و 25 آذار 1951[1]

«تحقيقاً لروحية الحركة الاشتراكية العالمية الصحيحة الرامية إلى التعاون وإلى الإخاء وإلى التضامن الشامل وإلى إزالة الفوارق الطبقية والانعزالية على تنوُّعها،

واستيحاء لمحاولة القوة الثالثة المادية والروحية التي يعتمدها الحزب التقدُّمي الاشتراكي والرامية إلى «تحقيق ديمقراطية شعبية جديدة تؤلف بين شتات الحقيقة وتجمع بين النقيضين، بين النظام والحرية، بين الأخلاق والقانون، بين الفردية الشخصية والمجتمعية، بين العمل والعامل، بين المادية والتجريد، بين الشرق والغرب، بين القديم والحديث،

وتنفيذاً لما ورد في برنامج الحزب التقدُّمي الاشتراكي من أن الحزب يستهدف التعاون الأوثق مع الأمم والحركات الفكرية التي تشاركنا المَثَل الأعلى ابتغاء فهم وتضامن كونيين يحققان من خلال العائلة والأمة اتحاد المخلصين جميعاً، وأنه يؤيد التعاون الوثيق مع الدول العربية،

(1) جريدة الأنباء، 16 آذار 1951، ص 4.

ونظراً للظروف المؤسفة التي تعانيها الدول العربية داخلياً وخارجياً من افتقار الشعوب فيها إلى التوجيه السليم وإلى القيادة الصحيحة الرشيدة،

ونظراً للأوضاع الدولية الخطيرة التي تواجهها الدول العربي من أحوال السلم والحرب على السواء،

وبعد تتميم الدعاوة لفكرة المؤتمر العربي الاشتراكي والاتصال بمن يتسنى لنا الاتصال بهم من الأحزاب الاشتراكية والرجالات وحصولنا على موافقتهم المبدئية بشأن مؤتمر الأحزاب الاشتراكية العربية المنوي عقده في بيروت،

قرر حزبنا عقد مؤتمر عام للأحزاب العربية الاشتراكية ما بين العاشر والخامس والعشرين من آذار - مارس - القادم/ 1951 رغبة منه في التعارف وتوحيد المناهج العلمية والنهوض بشعوب الدول التي تنتمي إليها هذه الأحزاب المجتمعة بغية تحقيق نهضة تحريرية شعبية شريفة وتعاون دائم في الدفاع عن الأهداف المشتركة التي يسعى إليها كل منا.

ورأينا أن يضم المؤتمر الأحزاب التالية كخطوة بدائية:

- الحزب الاشتراكي العربي - سوريا
- الحزب الوطني الديمقراطي - العراق
- حزب مصر الاشتراكي - مصر
- الحزب التقدُّمي الاشتراكي - لبنان
- سيقوم مؤقتاً بأمانة السر (مفوضية الشؤون الخارجية في الحزب التقدُّمي الاشتراكي بيروت ـ لبنان، لتنسيق الدروس والمقترحات والمحاضرات وبرامج جلسات المؤتمر ونشاطه).

وإننا نرغب إليكم أن تضعوا المواضيع التحضيرية التي تبغون طرحها على بساط البحث في المؤتمر وأن تبلّغونا إياها مع تعديلاتكم للبرنامج الذي يقترحه الحزب التقدُّمي الاشتراكي لهذا المؤتمر والذي يتلخّص بالبنود التالية:

1 - تقرير عقد مؤتمرات دولية اشتراكية في كل من الدول العربية ترمي إلى تنسيق التعاون وتسهيل التعارف وتقرير المناهج العملية بين الأحزاب

الاشتراكية.

2 - السعي لتحقيق حرية تأليف الاحزاب وحرية الاجتماع والقول والنشر في كل بلد عربي.

3 - تحقيق الضمان الاجتماعي العام.

4 - تشجيع الحركات النقابية وتقويتها وتقرير مبدأ الانتساب الإجباري إليها.

5 - تحقيق التعليم الإجباري المجاني.

6 - تحديد ساعات العمل.

7 - منع تشغيل الأحداث.

8 - تقسيم الملكيات الزراعية الكبيرة.

9 - تحديد موقف الأحزاب من الشركات الكبرى والشركات ذات الامتياز ومدى النفوذ الاقتصادي الأجنبي وطرق مواجهة هذه الأخطار.

10 - التوجيه السياسي العام للأحزاب الاشتراكية العربية بالنسبة إلى الأوضاع العالمية القائمة.

هذا وإننا بانتظار جوابكم العاجل ومقترحاتكم التحضيرية ورأيكم في مقترحاتنا وفي عقد المؤتمر في آذار في بيروت - كما نطلب إليكم أن تبلّغونا عن عدد الأشخاص الذين تنتدبون لتمثيل حزبكم لكي يُصار إلى حجز محلات لهم على أن يقوم كل حزب بنفقات أعضائه، على أن يتحمّل الحزب التقدُّمي الاشتراكي وحده نفقات المؤتمر العامة.

إن اشتراككم معنا في هذه المرحلة من مراحل نضال الشعوب العربية العاملة في سبيل حقوقها الأساسية في الحياة الفاضلة وفي الحرية، سينمّي مظاهر نهضتها الرامية إلى تحقيق ما تصبو إليه، وسيبرز يقينها في الظفر ويستعجل موعد انطلاقها الأكيد».

* * *

الفصل الثاني

دعم نضال الشعوب العربية

حلّل الرئيس كمال جنبلاط الواقع الحقيقي في العالم العربي بالنسبة لكل دولة عربية وبالنسبة للعالم المحيط والأوسع، وذلك من مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والأنظمة والقوانين، من خلال اهتمامه بهذا العالم ورغبته في دعمه ودعم نضال شعوبه في سبيل الحرية والديمقراطية والمساواة.

ولم يقصر كمال جنبلاط اهتمامه على أنظمة الحكم في هذه الدول، إنما تعدى ذلك إلى التطلع إلى الشعوب والمجتمعات رغبة منه في دعم تحركاتها النضالية ضمن مفهومه للأممية العربية. فالزعيم الاشتراكي أطلق الدعوات المستمرة لتقوية الشعوب العربية اقتصادياً وللتشديد على ذلك أكثر من التشديد على قوة الجيوش، وذلك من خلال إيمانه بأن القوة الاقتصادية هي التي تتغلب في النهاية حتى في ميدان الحرب[1].

من جهة أخرى، أبدى كمال جنبلاط رغبته في

---

(1) كمال جنبلاط، مختارات.. أحاديث عن الحرية، الدار التقدُّمية، المختارة، 1987، ص 215 - 220.

التمسُّك برابطة الشعوب الآسيوأفريقية التي أثبتت جدواها في توطيد السّلام العالمي، وفي مساعدة الشعوب المستعمَرة للتحرُّر[1].

سنحاول في هذا الفصل تتبُّع خطوات كمال جنبلاط والحزب التقدُّمي الاشتراكي الداعمة لنضال الشعوب العربية من أجل التحرُّر والانعتاق وخلق أجواء مناسبة داخل مجتمعاتها للتفاعل مع التطوُّر الحضاري العالمي والارتفاع نحوَ الأفضل. ولن نعالج في هذا الفصل قضية فلسطين كونها عولجت في كتاب مستقل في هذه الموسوعة، ولا نضال الرئيس جمال عبد الناصر كوننا سنخصِّص له فصل كامل في هذا الكتاب.

1 - دعم ثورة المغرب:

خلال الخمسينات من القرن الماضي كانت ثورة المغرب قد بلغت ذروتها في وجه الاستعمار وذلك بهدف التحرُّر من ربقته. هذه الثورة كانت قد بدأت منذ قيام الاستعمار الغربي في المغرب، لكنها تطورت تطوُّراً دراماتيكياً خلال المرحلة الأخيرة من النضال إلى صراع دموي كان يذهب ضحيته يومياً عشراتٍ من الضحايا.

لذلك، أخذ الرئيس كمال جنبلاط المبادرة ودعا الأحزاب اللبنانية الوطنية إلى مؤتمر عام في مقر الحزب التقدُّمي الاشتراكي في بيروت في تموز عام 1954 حيث قام مسؤولو هذه الأحزاب بدراسة الوضع الراهن في المغرب العربي، وأصدروا بياناً دعوا فيه الدول العربية إلى مناصرة شعب المغرب المناضل.

وقع البيان ممثّلون عن الحزب التقدُّمي الاشتراكي وحزب النداء القومي والمؤتمر الوطني والهيئة الوطنية وحزب النجادة والجبهة الشعبية وجاء فيه[2]:

«أعلن المغرب العربي ثورته على الاستعمار منذ بدأ الاستعمار، وقد تطوّرت هذه الثورة في الآونة الأخيرة

(1) انظر ملحق رقم 3: دور الاشتراكية في تطوّر السياسة العربية، بقلم الرئيس كمال جنبلاط.

(2) جريدة الأنباء، 16 تموز 1654.

إلى نضال دموي يذهب كل يوم بالعشرات من الضحايا.

«إنها لثورة مقدّسة في نظر العرب تهدف إلى التحرر من ربقة الاستعمار. وإنها تشعر بحرمة الكرامة الإنسانية وبحق الأمم في أن تعيش آمنة مطمئنة في عقر دارها.

«فبعد أن عجزت منظمة الأمم المتحدة عن تحقيق مبدأ تقرير المصير، وبعد أن تنكّرت لمواثيقها وعهودها، لم يبق أمام الأمم التي ترزح تحت عبث الاستعمار والعبودية إلا أن تفعل ما فعل المغرب العربي.

«إزاء هذه الظاهرة التي تجلّت في نضال إخواننا المجاهدين في شمال أفريقيا، لا يسع أبناء العرب في هذا القسم من العالم أن يقفوا مكتوفي الأيدي، وأن يتجاهلوا مصلحتهم الوطنية ويكبتوا عاطفتهم الإنسانية ويتنكّروا لواجبهم الدولي كأعضاء في هيئة الأمم المتحدة.

«لذلك فإن الأحزاب اللبنانية المجتمعة في مقر الحزب التقدُّمي الاشتراكي، بشكل مؤتمر، بعد درسها الحالة الراهنة في المغرب العربي، قرّرت دعوة الدول العربية إلى الأخذ بناصر ذلك الشعب العربي الباسل، وتكليفها أن تطرح قضيته على مجلس الأمن باعتبار كونها إحدى القضايا العربية، والقضايا العربية وحدة لا تتجزأ.

الحزب التقدُّمي الاشتراكي - حزب النداء القومي - المؤتمر الوطني - الهيئة الوطنية - حزب النجادة - الجبهة الشعبية».

علاوة على هذا البيان عادت الأحزاب والهيئات الوطنية اللبنانية برئاسة كمال جنبلاط واجتمعت في بيروت في التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام 1954 وقامت بتقييم عام للأوضاع الداخلية والعربية والدولية وأصدرت توصية وقّعها الرئيس كمال جنبلاط عنها دعت فيها إلى تأييد ثورة الشعب المغربي، وجاء في التوصية الآتي[1]:

(1) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 194.

«... والقضية التالية التي تنجذب إليها اليوم أنظار الغرب والشرق على السواء فيتجهّم لها وجه أفريقيا انتظاراً وتتحرك لها آسيا، ويتنادى المشرقان في سبيلها - المشرق الأقصى والمشرق الأدنى - تعاونهم وتساندهم شعوب العالم الحرة وجميع الدول المناهضة للاستعمار؛ تلك القضية التي نعني، هي ثورة المغرب الجبارة في وجه الإفرنسي المغتصب.. فلا يجوز أن تبقى نداءات الأبطال والشهداء والمجاهدين المتعالية على كبوة تلك الجبال الشامخة الحمراء، وكأنها جبلت من دماء وآلام مئات الألوف من المناضلين والمستشهدين، وشمخت وتسامت بعزّتهم وبطولتهم؛ لا يجوز أن تظل هذه النداءات تسمعها شعوب الشرق العربي، ولا يصغي إليها الملوك والرؤساء والحكومات.. وإننا نهيب بملوك العرب ورؤسائهم وبالحكومات العربية وأحزابها وهيئاتها ونقاباتها ونوابها أن يثبت كل منهم عروبته ووطنيته في الموقف العسير وفي ميدان المساندة والانتصار، وأن يمدوا يد المساعدة المادية والمعنوية لمن وقفوا كالرجل الواحد يقاتلون ويُقتَلون في سبيل تحرير شعوبهم وأوطانهم...».

2 - الجيش العربي الموحَّد:

وفي شهر شباط عام 1955، وبمناسبة اجتماع رؤساء حكومات الدول العربية للبحث في قضية حلف بغداد، وجّه الرئيس كمال جنبلاط نداءً باسم الحزب التقدُّمي الاشتراكي لتذكيرهم بضرورة ملاحقة إنشاء الجيش العربي الموحَّد الذي سبق واقترحه بنفسه. ومما جاء في النداء[1]:

«لمناسبة اجتماع رؤساء الحكومات العربية للبحث في قضية الحلف العراقي التركي، وبالنظر للموقف الغامض الذي انجلى عنه اجتماع الرؤساء المُشَار إليهم، يرى الحزب التقدُّمي الاشتراكي من واجبه أن يذكِّر الشعوب العربية بالاقتراح الذي تقدّم به الحزب بواسطة رئيسه الرفيق كمال جنبلاط، والقاضي

(1) جريدة الأنباء، 4 شباط، 1955.

بإنشاء جيش موحَّد يتألف من وحدات من جيوش الدول العربية تحت قيادة هيئة أركان عامة تتمثل فيها هذه الدول ويتناوب فيها الرئاسة سنوياً أعضاء هيئة الأركان المذكورة. وينفق على هذا الجيش من صندوق مشترك تساهم بتغذيته جميع الدول العربية المشتركة ومن ضمنها واردات البترول.

والحزب إذ يعلن على الرأي العام هذا البيان يدعو الشعوب العربية لتأييده واستخدام جميع الوسائل التي تؤول لتحقيقه لأنه الحل الوحيد لدرء الخطر الصهيوني».

3 - معارضة «حلف بغداد»:

لقد سبق الحديث عن حلف بغداد في الجزء المخصّص لثورة 1958 في هذه الموسوعة، لذلك لا نرى موجباً لإعادة التذكير بظروف قيامه وموضوعه والدول الاستعمارية الكبرى التي كانت تدعمه وتؤسّس له.

هذا الحلف الموجّه، وفق كمال جنبلاط، ضد مصالح العالم العربي وشعوبه، قاومه الرئيس الاشتراكي بكل ما أوتيَ من عزم وتصميم، ولم يترك مناسبة إلا واستغلّها في صراعه هذا. كما عقد اجتماعات مع الأحزاب الأخرى والهيئات لدعم توجهه هذا.

ضمن هذا التوجُّه اجتمع قادة الحزبين التقدُّمي الاشتراكي اللبناني والبعث العربي الاشتراكي السوري كمال جنبلاط ونسيم مجدلاني وأكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار في شتورا بتاريخ 16 شباط عام 1955 وأصدروا بياناً تاريخياً أبرز ما جاء فيه حول حلف بغداد[1]:

- الحياد الإيجابي الذي ينطوي بطبيعته على النضال من أجل تحقيق التحرُّر من الاستعمار والرجعية والإقطاعية الاقتصادية والسياسية والسير نحو الوحدة يفرض الرفض الصريح والمقاومة الفعلية لكل نوع من الأحلاف التي تربط الدول العربية بأي معسكر من المعسكرين القائمين.

(1) جريدة الأنباء، 18 شباط 1955.

وهذا هو تجسيد عملي للسياسة الخارجية العربية التي تنبثق من منطق الاشتراكية ومصلحة العرب ورسالتهم وأهدافهم في الحرية والاشتراكية.

- إن مؤامرة الاستعمار، التي لم تتغيّر أهدافها، وإن تغيّرت أساليب العمل لتنفيذها، تستهدف تثبيت الاستعمار في الأقطار العربية عسكرياً واقتصادياً وساسياً، وتثبيت الاحتلال العسكري في بعض الأقطار كالعراق والأردن وليبيا لتحمي المصالح الاستراتيجية والاقتصادية الاستعمارية بالقوة إذا لزم الأمر.

- هذه المؤامرة تستهدف تصفية القضية الفلسطينية والإبقاء على إسرائيل وجرّ العرب نهائياً للصلح معها والاعتراف بها كقوة حيّة في الكيان العربي. كما تستهدف المحافظة على الرجعية والاقطاعية في كل بلد عربي.

- حاول الاستعمار تحقيق مؤامراته هذه بأشكال مختلفة كمحاولة ربط العرب بواسطة الجامعة بالغرب عن طريق حلف المتوسط الذي ينتهي بدخول إسرائيل فيه، إلى محاولة الصلح وإسكان اللاجئين.

لذلك لجأ إلى تشكيل حلف بين العراق وتركيا يكون الحلقة الأولى من المؤامرة، تليها خطوات أخرى. بدايته العراق وتركيا وسوريا والأردن ولبنان والباكستان وإيران وإنكلترا والولايات المتحدة وإسرائيل، ثم تجبر باقي الدول العربية على الانخراط فيه فيما بعد.

وتوجّه المجتمعون بنداء إلى الحكومات العربية، خاصة حكومات سوريا والأردن لاتخاذ موقف صريح وسليم يعكس مصالح العرب ويعبّر عن إراداتهم من خلال تبنّي سياسة خارجية عربية موحّدة مستقلة، تقوم على:

أ - اعتماد العرب على أنفسهم في الدفاع عن وطنهم وكيانهم.

ب - التعبير العملي عن هذه السياسة برفضهم حلف بغداد رفضاً قاطعاً.

ج - تقوية ميثاق الضمان الجماعي بإنشاء الجيش العربي المشترك ذي القيادة الموحَّدة.

وختم المجتمعون البيان بتوجيه التحية إلى «المناضلين من شباب العراق الذين امتدّت إليهم يد الإرهاب وزجّتهم

في أعماق السجون»[1] مؤكِّدين ثقتهم التي لا تتزعزع بأن الشعب العربي في العراق لن يرضى موقفاً وسياسة غير ما تمليه مصلحة القضية العربية.

4 - مشروع آيزنهاور للسيطرة على الشرق الأوسط (مبدأ آيزنهاور):

مع بداية عام 1957 برز إلى العلن اتجاه أميركي لعقد تحالفات مع الدول العربية في الشرق الأوسط بهدف حمايتها من التدخلات الخارجية على أرضها وخاصة للمنظومة الشيوعية الشرقية. وصدر عن الجانب الأميركي بيان لرئيس الجمهورية آيزنهاور نوّه بالخطر السوفياتي على منطقة الشرق الأوسط طالباً سلطات استثنائية من الكونغرس الأميركي للتعاون مع دول هذه المنطقة.

رداً على التدخُّل الأميركي في العالم العربي، اجتمعت قيادة الحزب التقدُّمي الاشتراكي بتاريخ الواحد والعشرين من كانون الثاني عام 1957 وأصدرت بياناً ندّدت فيه بالتدخُّل هذا في شؤون الدول العربية. ومن أبرز النقاط التي وردت في البيان الموقَّع من كمال جنبلاط ما يأتي[2]:

- إن بيان الرئيس آيزنهاور خالٍ من كل ضمان لحدود دول الشرق الأوسط ضد الخطر الإسرائيلي.

- من شروط قبول مساعدات الولايات المتحدة أن تكون المساعدة بدون أي قيد أو شرط سياسي.

- عدم موافقة الحزب على الأحلاف التي تربط الدول العربية مع الخارج كونه يناهض قيام الارتباطات العسكرية والسياسية بالدول الكبرى.

- إن ضمان حدود الدول الذي قدّمته الولايات المتحدة لحكومات الشرق الأوسط يشبه تماماً الضمان المنفرد الذي أعطته بريطانيا وفرنسا لبولونيا قبيل الحرب العالمية الثانية. فما يقترحه الرئيس آيزنهاور كضمان لكيانات واستقلالات شعوب الشرق الأوسط هو

(1) المرجع نفسه.

(2) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 233 - 234.

نوع من الالتزامات الصادرة من جهة واحدة ومن إرادة منفردة. وهو يشكّل خروجاً عن روحية ميثاق الأمم المتحدة ونهجها العام السليم. فهذاا لعمل يشكّل عملاً تفردياً لدولة تنفذه خارج نطاق الأمم المتحدة.

– هذا الضمان ينقل نطاق الحرب الباردة إلى حدود منطقة الشرق الأوسط. لذلك يشكّل تهديداً للسلم كونه يزيد من إمكانات وقوع الاحتكاك السياسي والعسكري بين الولايات المتحدة وأي دولة كبرى ترتبط بأحلاف مماثلة مع إحدى دول المنطقة.

وختم البيان برفض للهيمنة الأميركية إذ جاء فيه[1]:

«يبدو جلياً من مشروع الرئيس الأميركي أن منطقة الشرق الأوسط قد أدخلت فعلاً وواقعياً، دون إرادتنا، ضمن نطاق النفوذ السياسي والاستراتيجي الأميركي.. وإذا كان واقع الشرق الأوسط، والشعوب العربية من ضمنه، يجعل بينه وبين الغرب ارتباطات وثيقة من حيث الأنظمة الديمقراطية والحضارة الفاعلة والمصالح الاقتصادية الكبرى، ولا سيما المتعلقة بالبترول العربي، فإن العالم العربي - كالهند وسواها من الأقطار - قد حرص حتى الساعة، على أن ينفذ سياسة عدم الارتباط وعدم الاصطفاف والالتحاق في معسكر معيّن، والابتعاد ما أمكن عن الحرب الباردة وأحداثها، وأن يتبنى سياسة الجبهة المعنوية الثالثة – جبهة الشعوب المناضلة لاجل السلم والحرية.

فالضمان الأميركي لحدود وكيانات شعوب الشرق الأوسط، يجعل فعلاً وواقعياً نطاق سياسة الجبهة الثالثة يتقلّص عن كافة شعوب الشرق الأوسط، إذا قبلت هذه المنطقة بمضامين هذا البيان.

أما نظرية الفراغ التي يتذرّع بها البيان الأميركي لماماً، فقد تكون صحيحة من الوجهة الاستراتيجية والعسكرية، ولكن من الوجهة السياسية والمعنوية فإنه يعود للوطنية الإيجابية

(1) المرجع نفسه

ولتنمية عناصرها وبعث التراث الحضاري العربي والشرقي أمر إملاء هذا الفراغ، دون اللجوء إلى أي مصدر غريب عن المنطقة..»[1].

5 - الموقف من جامعة الدول العربية ووحدة الجبهة العربية:

يرى الحزب التقدُّمي الاشتراكي أن الجامعة العربية هي الضمانة الوحيدة، على المدى القصير أو الطويل، لتجمّع الشعوب العربية في إدارة إقليمية للتعاون والتفاهم والتقارب، وفي التخفيف من التناقضات التي لا بد أن تقوم بين أقاليم ومناخات وعناصر مختلفة متنوّعة، بالرغم من وحدة الثقافة واللغة والشعور العام والمصير المشترك.

ففي عالمنا الحالي، لم يعد هناك وزن للدول الصغرى أو الوسطى إلا إذا تكتلت. ولا يقوم قياس إلاّ بتكتّل البلدان الواسعة والشعوب الفقيرة وللقوة الاقتصادية والعلمية التي يوفرها مثل هذا التعاون والشمول المساحي[2].

علاوة على ذلك، فإن الجامعة العربية هي أداة سلام وتحكيم بين الدول العربية تحول دون الاشتباكات العنيفة والاختلافات الشديدة التي قد تذهب إلى أبعد ما يمكن أن يتصوّر المرء الذي يعود إلى التاريخ القديم والحديث.

ويرى الحزب، برئاسة كمال جنبلاط، أنه يجب الحفاظ على الجامعة العربية كون انهيارها قد يقسم العالم العربي إلى عالمين، غربي يضم الدول في شمال أفريقيا وشرقي يضم دول الشرق الأوسط.

وأشاد الحزب بالمشروع الفيدرالي الذي تم بموجبه اندماج قُطرَيْ مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة. ومما جاء في بيان الحزب حول هذا الموضوع[3]:

«قد يكون الارتباط الذي تحاول إنشاؤه مصر وسوريا من خلال بعض

(1) انظر ملحق رقم 4: الحزب بين الحرب الباردة ومبدأ أيزنهاور.

(2) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 247.

(3) المرجع نفسه.

التشريعات الفيدرالية انطلاقاً واتصالاً جديداً يقوم مقام الاتصال القديم واتحاد لشطرَيْ الدول العربية في القارتين إذا ما شمل هذا الاتحاد الشبه فيدرالي، وتحقق فعلاً الجسر واشتركت فيه الدول العربية كافة...[1].

على أنه يتوجب علينا أن نعلن أن القضاء على أي ارتباط سابق قديم، كارتباط الجامعة، قبل قيام الارتباط الجديد وقبول الجميع به وشموله للدول العربية كافة، يعرّض الوضع العربي العام إلى التفسّخ وإلى التناقض والتعاكس والاختلاف الواسع، وربما إلى «بلقنة» هذه البقعة من الأرض...».

واقترح الحزب تدعيم الجامعة العربية من خلال[2]:

أ - الإقرار بعدم التدخُّل بشؤون الدول الداخلية.

ب - تجميد قيام حلف بغداد بشكل نهائي.

ج - تدعيم الجامعة بأربعة مشاريع، مشروع المصرف الدولي العربي المشترك، مشاريع الأوتوسترادات العربية الكبرى وسكك الحديد والمواصلات، مشروع الاتحاد الجمركي ومشروع الجيش الدولي العربي.

وهذه المشاريع لا تعني إلغاء القوميات. فالحزب التقدُّمي الاشتراكي لم يتنكر للقوميات بوصفها الولاء الطبيعي الذي يشعر به كل إنسان بالنسبة لأرض وبيئة وتاريخ ومصير معيّنين دون الوقوع في الأنانية أو في الانعزالية الضيّقة أو القَبَلية أو الإقطاعية أو الأرستقراطية.

6 - اقتراح قيام سوق عربية مشتركة:

وفي عام 1960، وفي البيان الذي أصدره الحزب التقدُّمي الاشتراكي إثر اجتماع الجمعية العمومية برئاسة كمال جنبلاط، ركز أيضاً على الجانب العربي

(1) انظر ملحق رقم 5: لبنان والوحدة العربية.

(2) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 247 ـ 248.

من نضاله مؤكّداً على ضرورة استكمال معالم الثورة الوطنية التوحيدية في المجتمعات العربية التي لا تزال تخضع للأنظمة القَبَلية والإقطاعية وخاصة في شبه الجزيرة العربية، وذلك لتظهير القاسم المشترك الوطني العربي بعد النكسة في العراق.

كما دعا الحزب إلى تنمية أجهزة التعاون العربي، وخاصة في الاقتصاد والسياسة. فحركة التصنيع الكبيرة الناشطة في العالم العربي ينبغي أن يقابلها إلغاء للحواجز الجمركية أو إنشاء وحدة جمركية أو سوق مشتركة عربية. كذلك إقامة خطوط مواصلات برية وبحرية تربط بين أجزاء القسمين الشرقي والغربي من العالم العربي.

علاوة على السوق العربية المشتركة، رأى الحزب ضرورة إيجاد ركائز للتعاون بين المجموعة العربية والدول المحيطة بها ضمن إطار التساند الآسيوي - الأفريقي ضمن محالفات اقتصادية أو اتفاقات سياسية أو أجهزة دولية مشابهة لأنظمة الكومنولث ولمؤسسة الجامعة العربية[1].

7 - دعم ثورة الجزائر:

دعم الحزب التقدُّمي الاشتراكي برئاسة كمال جنبلاط ثورة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي منذ قيامها عام 1953. ولم يوقف هذا الدعم حتى تحرّرت الجزائر عام 1962 وخروج الفرنسيين نهائياً منها.

وعلى سبيل المثال نورِد بياناً للحزب التقدُّمي الاشتراكي في عام 1960 حول ثورة الجزائر طالب فيه الرئيس كمال جنبلاط حكام فرنسا بالرضوخ لنداء الضمير والحق الانسحاب من الجزائر. كما طالب الأمم المتحدة بوضع حد للجرائم التي تجري على أرضها فتساهم في عملية تقرير المصير والاستقلال الناجز للشعب العربي فيها.

جاء في النداء[2]:

(1) المرجع نفسه، ص 292 - 294.

(2) جريدة الأنباء، 4 تشرين الأول، 1960.

«بطلوع فجر هذا اليوم تدخل الثورة الجزائرية عامها السابع، مسجّلة خلال السنوات الست الماضية، وفي كل يوم أروع مثال للبطولة والشهامة والفداء. إن ثورة الشعب العربي في الجزائر ووقوفه بوجه الاستعمار الفرنسي الغاشم وجحافل قوات حلف الأطلسي، وصموده الجبار رغم ضآلة إمكاناته وانتصاره عليها جميعاً، إن هذه الثورة المجيدة أعادت للإنسان العربي كرامته وحريته ورفعت رأس العروبة عالياً.

«إن الحزب التقدُّمي الاشتراكي إذ يجدد تأييده للثورة الجزائرية ويؤكد إيمانه بانتصارها في النهاية، يبعث تحية إكبار وتقدير للوطنيين الجزائريين الأبطال، معلناً استعداده الكامل لتقديم كل مساعدة ممكنة في سبيل انتصار قضيتهم العادلة.

«والحزب التقدُّمي الاشتراكي المناضل دوماً من أجل قضايا الحرية في كل مكان، يهيب بحكام فرنسا أن يرضخوا لنداء الضمير والحق. ويناشد الأمم المتحدة أن تضع حداً لفظائع فرنسا وجرائمها في الجزائر، وأن تساهم في عملية تقرير المصير والاستقلال الناجز.

«إن مفوضية الشؤون الخارجية في الحزب التقدُّمي الاشتراكي تدعو الشعب اللبناني لمد يد المساعدة للشعب الجزائري الشقيق واعتبار قضيته قضية لبنان العامل دوماً لنصرة الحق والحرية والعدالة.

«عاش أبطال الجزائر. والنصر لثورة الحرية والحق».

وفي عام 1961 عاد الحزب التقدُّمي الاشتراكي وأصدر بياناً داعماً للشعب الجزائري وثورته الكبرى. ومن أبرز ما جاء في البيان:

أ - فرنسا قد أقدمت على اغتصاب أرض الجزائر، وقد جوبهت فرنسا بوحدة شعب الجزائر، من البربر والعرب، وخاصة القوى الثورية.

ب - سيقوم شعب الجزائر بطرد المحتلّ. «ونحن لا نقبل بالسلام إلا ضمن شروطنا الثورية الكاملة»[1].

(1) الأنباء، 8 تموز 1961.

ج - مطالبة حكومات الوطن العربي بواجب المساهمة الفورية في دفع ثورة الجزائر إلى الإمام والمساعدة في تمويلها لتتمكّن من إحراز النصر.

و - «إن وحدة النضال العربي تجعل معركة الجزائر جانباً من معركة الوجود القومي، وتجعل بالتالي لأية هزيمة أو انتصار في الجزائر الانعكاس الكامل على باقي أجزاء الوطن العربي»[1].

8 - استنكار العدوان على تونس:

في منتصف شهر آب عام 1961، وإثر الاعتداء الفرنسي الانتقامي على مدينة بنزرت التونسية المرتبطة بثورة الجزائر، وجّه كمال جنبلاط بصفته رئيساً للحزب التقدُّمي الاشتراكي برقية استنكارية إلى الأمم المتحدة جاء فيها[2]:

«إلى همرشولد الأمين العام للأمم المتحدة وإلى الحكومة التونسية:

«الحزب التقدُّمي الاشتراكي يستنكر العدوان الفرنسي الوحشي على الشعب العربي في تونس ويحيي أرواح الشهداء الأبطال من أبناء بنزرت المناضلة، ويعلن تأييد الاشتراكيين العرب المطلق لنضال الشعب العربي في تونس، ويناشد الأمم المتحدة وضع حد لإجرام الاستعمار الفرنسي في شمال أفريقيا».

9 - دعم النضال ضد الاستعمار في جنوب شبه الجزيرة العربية:

في عام 1965، وبنتيجة اجتماع الجمعية العمومية للحزب التقدُّمي الاشتراكي، لخّص الرئيس كمال جنبلاط سياسة الحزب داخلياً وعربياً ودولياً من خلال بيان أصدره في الثامن والعشرين من تشرين الثاني.

جاء في البيان حول دعم الشعوب العربية المناضلة ما يأتي[3]:

- قام الحزب كعادته بدور الطليعة

(1) المرجع نفسه.

(2) الأنباء، 19 آب 1961.

(3) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 340 - 349.

في دعم الحركات الاستقلالية والتحرُّرية في جميع أنحاء آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية وفي الوطن العربي الكبير بشكل خاص.

- التعريض بالاستعمار البريطاني وتدخُّله في عدن والمحميات العربية لمنع الشعب العربي من تحقيق استقلاله وسيادته على بلاده ومصيره.

كذلك التنديد بالاستعمار الغاشم الذي يودي في كل يوم بحياة العشرات من إخواننا العرب المناضلين في جنوب الجزيرة العربية بشجاعة وصبر وجَلَد.

- الإشادة بالروح العربية الأخوية التي أوحت باتفاقية جدّة التي وضعت حدّاً للاقتتال في اليمن.

- المطالبة بتطوير وتركيز العلاقات الاقتصادية العربية بشكل خاص على أُسس من الوحدة الاقتصادية والتبادل الحر التام في ما بين جميع أقطار الوطن العربي.

10 - العرب والوحدة:

كان لنكبة 1967 تأثير كبير على الدول العربية وعلى نضال الشعب الفلسطيني في سبيل تحرير بلاده واستعادة ممتلكاته. وهذا التأثير شمل أيضاً رئيس الحزب التقدُّمي الاشتراكي الذي سبق ودعم جميع التحرُّكات العربية الرامية إلى دعم العمل الفدائي والشعب الفلسطيني في كفاحه الطويل[1].

ضمن هذا الإطار، دعا كمال جنبلاط في بيان الحزب السنوي لعام 1969 إلى لمّ الشمل العربي في سبيل خوض المعركة الكبرى ضد إسرائيل وضد الرأسمالية العالمية.

وعاد الرئيس جنبلاط في هذا البيان إلى المطالبة بوحدة العالم العربي الاقتصادية والسياسية أو على الأقل قيام السوق العربية المشتركة وإنشاء شبكة المواصلات العربية الحديثة. وجاء في البيان[2]:

(1) للمزيد من المعلومات عن موضوع دعم العمل الفدائي يمكن مراجعة الجزء السابق من هذه الموسوعة.

(2) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 399.

«**خامساً: العرب والوحدة:** لا مناص من تكرار التأكيد وترداده أبداً، أن الرد الإيجابي الكامل والشافي للمحنة التي واجهتنا منذ قيام إسرائيل، وخاصة بعد النكبة الأخيرة هو في قيام وحدة عربية بشكل فدرالي، لامركزي، بين أجزاء واسعة من الوطن العربي، والوصل بين الذي فصلته ومزّقته، في كياننا، الأيدي المستعمرة والمنتدبة، منذ أن وضعت سلطتها على هذه الأقسام المنتزعة عن الإمبراطورية العثمانية.

الوحدة، ثم الوحدة، وأبداً ودائماً الوحدة: هي نزعة العرب الأصيلة في جميع ديارهم، شرط أن تتحقق ضمن المستلزمات الديمقراطية والعقلانية العلمانية والعلمية الحديثة والإطارات اللامركزية الواسعة.

ومن المؤسف إعلانه أن معظم الأنظمة التقدُّمية في العالم العربي لم ترتفع بعد إلى مستوى هذه العقلية العلمانية في تصميمها لبناء الاشتراكية وفي استيعابها للكفاءات وتنميتها وفي فهمها للواقع العربي، وفي سعيها لتحقيق هذه الوحدة وأنظمتها.. فالنظام الاشتراكي هو نتاج تطور الحضارة الديمقراطية والعلم. ويجب أن نواجهه ونعتمل به بهذه المواجهة الدينامية السليمة الحية..

وتجدر أخيراً التوصية التي يكرّرها الحزب سنة بعد سنة لأجل قيام الوحدة الاقتصادية بين دول العالم العربي أو على الأقل السوق العربية المشتركة، وإنشاء شبكة من المواصلات البرية الحديثة الواسعة ذات الطابع العربي الدولي للربط والتوثيق بين أجزاء العالم العربي، ولأن الطريق في العصر القائم أضحت بحد ذاتها وسيلة للتقريب والازدهار».

11 - موقف الحزب التقدُّمي الاشتراكي من القضايا العربية المختلفة:

في 23 أيلول عام 1970، وإثر المعارك في الأردن التي تواجه فيها الجيش الأردني مع المنظمات الفلسطينية أعلن الحزب موقفه منها. كما أعلن سياسته العربية ومواجهته للقضايا العربية الرسمية القائمة على

المبادئ والأسس الآتية[1]:

«أ - تقديم الاعتبار القومي في هذه الظروف وفي هذه المرحلة من محنة العرب في نكستهم، على أي اعتبار آخر، لأن مواجهة الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية تتطلب توحيد الجهد والطاقات وجمع القوى النظامية وقوى المقاومة على صعيد واحد.

ب - التأكيد مجدداً وباستمرار على ضرورة صيانة المقاومة الفلسطينية ومساندتها ومساعدتها على النمو وعلى التطور نحو انضباط وتدريب وفعالية أقوى وأنجح. لأن المقاومة الفلسطينية، علاوة على أنها تجسّد في نشوئها وانطلاقها شخصية الشعب العربي الفلسطيني، فإنها بوصفها تعبيراً حياً للقضية الفلسطينية، تؤلف المحرك المستقطب في هذه المرحلة للشعور وللتصور العربيَّيْن، وربما أكثر من فكرة الوحدة ذاتها، ولأنها الموجِّه لهذه الوحدة والدافع إليها. ولكونها، أخيراً عنصراً من عناصر التحرُّر الشعبي الذاتي الذي يغذي الآمال في تبديل الذهنية التواكلية العربية السائدة.

ج - التوكيد على وحدة الشعب العربي في الدفاع عن أرض الوطن على الصعيدين الشعبي المباشر والعسكري والنظامي، وأهمية قيام الجبهة الشرقية في موازاتها وتقابلها للجبهة المصرية.

د - اعتماد نظام حكم مدني وطني تقدُّمي في الأردن لإحلال روح التفاهم والثقة بين الفريقين، وتمكين السلطة من تنفيذ خطة التحام متصاعد وتصحيح مستمر وتطوير نامٍ للعلاقات الإيجابية بالنسبة للمقاومة الفلسطينية وبالنسبة لسائر المواطنين.

ويشدد الحزب التقدُّمي الاشتراكي على أن تكون وحدة القيادة التي جمعت المنظمات الفلسطينية في انتفاضتها الأخيرة منطلقاً لصهرها وتوحيدها في جيش تحريري فلسطيني واحد توجهه جبهة تمثيلية سياسية واحدة».

وكانت أحداث الأردن قد بدأت بعد

(1) المرجع نفسه، ص 409 - 410.

أن خطف مقاتلو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ثلاث طائرات ركاب مدنية تابعة لشركات غربية في أيلول 1970 إلى مطار صحراوي في الأردن. وفي 17 منه قصف الجيش الأردني قواعد الفدائيين العسكرية بالمدفعية قبل أن يلحق هزيمة كبيرة بالفصائل الفلسطينية المسلحة. وقيل إنه قتل في العمليات آنذاك ما لا يقلّ عن عشرة آلاف من أفراد المقاومة الفلسطينية، وفرّ من بقي منهم إلى سوريا، ومنها تسللوا عبر مسالك جبلية إلى جنوب لبنان[1].

أ - بيان الحزب لعام 1970:

وفي شهر تشرين الثاني من عام 1970، وإثر اجتماع الجمعية العمومية للحزب، أدلى الرئيس كمال جنبلاط بالبيان السنوي الذي تضمّن فقرة طويلة عن القضايا العربية أبرز ما جاء فيها[2]:

أ - قبول مصر وبعض الدول العربية الأخرى مبدأ التفاوض غير المباشر مع إسرائيل بواسطة السفير يارينغ وفق الأُسس التي وضعها مشروع وزير خارجية الولايات المتحدة روجرز. وقد ساهمت خطوة مصر في تبديد الفكرة التي ترسّخت في أذهان الرأي العام العالمي من أنّ قادة العرب وشعوبهم هم دائماً سلبيون ولا يريدون السلام، إنما الحرب واقتلاع الشعب اليهودي من فلسطين.

وهكذا ساهمت مبادرة مصر في إظهار إسرائيل بمظهر المعتدي الذي لا يريد العودة عن اغتصابه، الأمر الذي أكسب قضية شعب فلسطين تأييداً عالمياً وواسعاً. وهذا التأييد ساهم في صدور قرار عن الجمعية العامة في الأمم المتحدة بدعم من بريطانيا وإيطاليا ذكر فيه حق الشعب الفلسطيني صراحة بدلاً من جملة اللاجئين الفلسطينيين كما درج مجلس الأمن على تسميتهم.

ب - يشكل الرأي العام العالمي قوة إيجابية هائلة لا يمكن بدونها تحقيق أي

(1) تيموفيف، مرجع سابق، ص 255.

(2) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص413 - 418؛ وبيان الحزب التقدُّمي الاشتراكي لعام 1970 - محفوظات الحزب.

غرض على الصعيد القومي أو الإقليمي المحدود، نظراً للترابط البارز أكثر فأكثر في شؤون الدول والشعوب. فإذا عرف العرب أن يمدوا هذه الموجة الجديدة وأن يغذوها بالمعلومات عن قضيتهم، عبر الاتصال المباشر والإعلام الواسع ومراكز القوة والتأثير، أمكنهم من تحقيق تحول في الرأي العام العالمي نحو دعم قضيتهم.

ج - لا يعني هذا التحول عن القتال وتحرير الأرض العربية، بل يجب تدعيم الجهة الشرقية المناهضة لإسرائيل وتعزيزها وتقويتها. فعلى هذه الجبهة ما زلنا نسمع الشعارات الكلامية حول حرب التحرير الشعبية، فيما يظهر رفض للالتزام بأية مقررات إيجابية تهدف إلى تكوين الجبهة ورفع طاقاتها العسكرية. مع الأمل أن تساعد الضغوط الشعبية على تحسين الوضع على هذه الجهة، وأن تساهم في تعدي الخلافات العقائدية وتجاوز جميع التناقضات في سبيل المصلحة القومية وحدها.

د - شهدت السنة المنصرمة سقوط شعارات حرب التحرير الشعبية والقائلين بها، لأن العرب لم يقوموا بواجب هذا الشعار وفق النهج الصحيح والإرادة الجدية والإعداد الموضوعي. فالذهنية العربية كانت تتصور أن مجرّد لفظ الكلمات والإعلان عن الأشياء واتخاذ القرارات يكفي بحد ذاته لتحقيق ما تتضمنه الكلمات والشعارات والقرارات. وهذه الذهنية كانت في أساس هزيمة العرب عام 1967.

لذلك نعود اليوم إلى التطلع بآمالنا إلى عمل الجيوش النظامية في التحرير، وخاصة إلى جيش الجمهورية العربية المتحدة، وذلك بفضل المعونة الفنية السوفياتية.

هـ - انتقد البيان «اليسار الجديد» الذي ينصبّ أعضاؤه على قراءة ماركس ولينين وتروتسكي وماوتسي تونغ دون أن يفهموا شيئاً مما يقرؤون بسبب انفصالهم العاطفي ونظرتهم الجزئية للأمور.

ومما جاء حول اليسار الجديد ما يأتي[1]:

(1) المرجع نفسه، ص 416.

«وقد ضعفت أو سقطت شعارات هذه الفئات التي تشرذم فكرها، لأنها هي ذاتها لا تكاد تفهم على نفسها.

وسيمهد هذا التطهير العفوي الذاتي المستمر إلى بروز بعض ألوان ما أسموه باليسار الجديد الحقيقي. وهو اعتمال اجتماعي وسياسي ونفسي تدفعه النقمة على مظاهر الحضارة الصناعية النامية في أميركا وبلاد الغرب وسواها من مناطق العالم المتقدم. ويتلاقى هذا الاعتمال مع مبادئنا الصريحة في الميثاق والهادفة إلى إنقاذ الإنسان من الأضرار الناجمة عليه وعلى عيشه ونفسيته وحسّ الجمال وتوق الراحة منه، تلك الأضرار التي أحدثتها وتحدثها الحضارة الصناعية العصرية... ولكننا نعتبر أن الهرب من هذا اللون للحضارة لا يفيد أبداً، بل علينا تطوير عيشنا بحيث يتوافق ذلك مع نزعة تطور الآلة.. فتنقية أسباب وأساليب العيش (الماء والهواء والسكن والمصنع والنتاج الزراعي وإدخال مفهوم القناعة من جديد إلى مجتمعنا العصري وسوى ذلك) هي الأمر المطلوب.. ولا يتم ذلك إلا في إطار الاشتراكية الإنسانية الصحيحة..».

و - سجلت محادثات جدية لبعث لون من ألوان التعاون الوحدوي بين مصر والسودان وليبيا، مع الرجاء بأن تتكلل بالنجاح وأن تنضمّ إليها أقطار عربية أخرى، لأن طريق النهضة والتحرير لا تتم للعرب إلا بالوحدة.

ب - بيان الحزب لعام 1971:

وفي بيان الحزب عن عام 1971 أدلى الرئيس كمال جنبلاط في شهر تشرين الثاني بآرائه في الشؤون العربية. فعن أحداث مراكش الأمنية التي عقبت اغتيال مهدي بن بركة، لاحظ الزعيم الاشتراكي مدى الهوّة الفاصلة بين الحكم والجماهير في المغرب، وأن التصفيات الجسدية التي عقبت محاولة الانقلاب أثارت شعور الرأي العام العالمي وأسهمت في تشويه سمعة العرب في الخارج وصوّرتهم كأنهم جماعة لا تلتزم بمفاهيم العدالة البدائية ولا تحترم حقوق الإنسان نظراً لما رافقها من شراسة وعنف. كما ذهب ضحية هذه الأحداث عدد من الشخصيات القائدة ومن النقابيين والحزبيين اليساريين.

وندّد الرئيس كمال جنبلاط بهذا

العنف إذ كتب[1]:

«وإننا نقول بكل إخلاص وبيقين منا كامل أنه طالما لا يدرج العرب في جميع أصقاعهم على عادة احترام حقوق الإنسان الرئيسية، بالتجرد الكامل عن أي اعتبار آخر، فإنه لن يستقيم لهم شأن ولن تصلح أمورهم، ولن تنتظم مؤسساتهم وأنظمتهم، ولن يكون لهم نجاح قريب في مسيرة التاريخ».

وانتقد البيان العنف الأردني بعد سنة من انتهاء أحداث 1970 فيه. فبعد أن تمكنت السلطة الأردنية من إخراج الفدائيين الفلسطينيين من عمان ومدن أخرى إثر معارك قاسية، تم توقيع اتفاقيّتَيْ القاهرة وعمان وكلّفت لجنة عربية بمراقبة تنفيذهما. لكن موجة جديدة من الملاحقات اجتاحت الأردن قصداً لإخراج الفدائيين من معاقل معسكرات التدريب حيث كانوا يُقيمون في الغابات بعيداً عن السكن[2].

وحيّى البيان النضال الفلسطيني المتصاعد في قطاع غزة وفي داخل الأراضي المحتلة، طالباً من الحكومات العربية أن ترفع يدها عن المقاومة، ومن الفلسطينيين أن يوحِّدوا منظمات المقاومة في جبهة واحدة وجيش واحد تنتظم فيه الفرق والفصائل كما يجري في الجزائر وكوريا وفييتنام وإيرلندا.

وطالب البيان بتحقيق الأمور الآتية[3]:

أ - العود للكفاح على جميع الأصعدة.

ب - إنشاء الجبهة الشرقية وتقويتها بفرق عديدة من الجيش العراقي.

ج - الشروع من جديد بحرب الاستنزاف على جميع الجهات.

د - وضع حد للتفرقة وتشتت الطاقات على الصعيد العربي.

هـ - دخول الصراع العربي في مواجهة مصالح الولايات المتحدة وبعض

(1) المرجع نفسه، ص 435.

(2) بيان الحزب التقدُّمي الاشتراكي لعام 1971، محفوظات الحزب.

(3) المرجع نفسه.

الدول الأوروبية الغربية.

و - تأميم الحصص التي تملكها الشركات الأميركية في النفط العربي.

ز - اتخاذ تدابير اقتصادية واسعة لوضع جميع الشركات والمؤسسات الأميركية في لائحة غير المرغوبين في التعاطي التجاري معهم.

ح - الإفادة من أزمة الدولار الخانقة لفرض حصار عربي معنوي وفعلي على مصالح الولايات المتحدة في المنطقة العربية.

ط - اعتماد استراتيجية «نفط العرب للعرب» وتأميم شركات النفط في العالم العربي.

ي - القيام بثورة ثقافية حقيقية تستوعب الجدلية العقلانية والعلمية وتسير بها في مجاري التطور الحقيقي للإنسان العربي. كما أنه لا يمكن فصل الثورات العربية الاشتراكية عن الثورة الاشتراكية العالمية وعن التعاون مع الدول الاشتراكية في العالم.

ك - وعلاوة على حاجاتنا إلى عقيدة علمية وجدلية اشتراكية متطورة، فإن التجربات الاشتراكية العربية بحاجة إلى الأخذ بمبدأين:

- احترام حقوق وحريات الإنسان.

- تنفيذ مبدأ المشاركة الشعبية على جميع المستويات في نظام تمثيلي حرّ.

وخلص الرئيس كمال جنبلاط في بيان الحزب لعام 1971 إلى أننا «في العالم العربي، وفي مواجهة العدوان على أرضنا، بحاجة أكثر فأكثر، وعلى جميع الأصعدة، إلى قيادات جديدة وإلى إبراز نخبة أوسع فأوسع.. وفي هذا السياق، يمكن ويجب إطلاق حرية الصحافة بعد إلغاء الصحف التي يتملكها الأفراد، وتمكين جميع الهيئات والنقابات والأحزاب، الممثّلة لتجمّع الشعب حول مختلف نشاطاته من أن يكون لها صحف ومجلات تدافع عن رأيها فيها بكل حرية..»[1].

(1) بيان الحزب التقدُّمي الاشتراكي لعام 1971، محفوظات الحزب.

ج - بيان الحزب لعام 1972:

انعقدت الجمعية العمومية للحزب التقدُّمي الاشتراكي في السادس والعشرين من تشرين الثاني عام 1972 وألقى الرئيس كمال جنبلاط بيان الحزب السنوي لعام 1972 محلّلاً فيه الأوضاع اللبنانية والعربية والعالمية.

وفي تحليل للبيان، يمكن التشديد على القضايا العربية كالآتي[1]:

أ - لم تستطع دول المواجهة من جمع قدراتها وتوحيد طاقاتها والانتقال إلى معركة التحرير. فالذهنية القبلية ما زالت تفعل فعلها على صعيد الحكومات.

ب - إن طريق التحرير يبدأ بالوحدة. والأشكال القانونية المألوفة هي الاتحاد الفدرالي اللامركزي. ومن المستغرب أن لا تستطيع الدول العربية ذات النظام الاشتراكي من إيجاد قاسم مشترك بينها لإقامة الاتحاد الفدرالي.

ج - الإشادة بمبادرة الرئيس الليبي معمّر القذّافي بطلب الوحدة الاندماجية مع مصر التي تعتبر كسباً لحركة الوحدة وللكفاح لأجل تحرير الأرض، مع الأمل أن تكون مثلاً لدول عربية أخرى.

د - تجديد النداءات لتصعيد الكفاح على صعيد النفط العربي والمقاطعة الاقتصادية لمصالح الولايات المتحدة كونه لم يحدث شيء في هذا الميدان.

هـ - التمني أن يوضع قسم من واردات النفط في مصارف دمشق وبغداد والقاهرة والجزائر والسودان واليمن وسواها من البلدان النامية كي يستفاد منها في التوظيف الزراعي والصناعي والخدماتي.

و - الترحيب بعودة العلاقات الطيّبة بين جمهورية مصر العربية والاتحاد السوفياتي وتأييد محافظة سوريا والعراق على الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفياتي أيضاً.

ز - الدعوة إلى مباشرة حرب التحرير الاستنزافية التي ترفع من معنويات الجيوش والشعوب العربية،

(1) بيان الحزب التقدُّمي الاشتراكي لعام 1972، محفوظات الحزب.

وإلى أن يأخذ الجيش العراقي مكانه في الجبهة الشرقية بعد زوال الخلافات الداخلية بين الدول العربية في هذه الجبهة.

ح - اقتراح استخدام النفط كسلاح في المعركة المصيرية ضد إسرائيل ومن يدعمها من الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأميركية.

ط - الترحيب بالجهود التي بذلت لوضع حد للنزاع المؤسف بين اليمنين الشمالي والجنوبي، والتشجيع على قيام الوحدة بينهما. والتنويه بالنضال القاسي الذي يخوضه الشعب الأريتري بقيادة الجبهة الوطنية لتحقيق استقلال البلاد، مع الأسف لنقض حكومة الحبشة للاتفاقات الدولية التي ختمت الحرب العالمية الثانية والتي نصت على إنشاء اتحاد فدرالي لامركزي بين الحبشة وأريتريا.

د - بيان الحزب لعام 1973:

في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام 1973 انعقدت الجمعية العمومية للحزب التقدُّمي الاشتراكي التي افتتحها رئيس الحزب كمال جنبلاط بإعلان البيان السنوي لعام 1973 الذي انتقد فيه سياسة عدم تسليح الجيش اللبناني وتحصين الجنوب وعدم مشاركة لبنان في حرب 1973 العربية - الإسرائيلية[1].

12 – موقف الحزب التقدُّمي الاشتراكي خلال حرب 1973:

أظهر الحزب التقدُّمي الاشتراكي ورئيسه كمال جنبلاط حماساً لمعركة العرب المصيرية التي بدأت في السادس من تشرين الأول عام 1973 على الجبهتين السورية والمصرية. وأعلن الرئيس جنبلاط دعمه المطلق للجيوش العربية المقاتلة وللمقاومة الفلسطينية. كما شارك عبر الحزب بالمجهود الحربي من خلال حملة تبرّعات بالمال والدم وجميع الوسائل الأخرى المتاحة[2].

(1) بيان الحزب التقدُّمي الاشتراكي لعام 1973، محفوظات الحزب.

(2) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 472.

وكانت الحرب العربية - الإسرائيلية الرابعة قد وقعت بين 6 و 22 تشرين الأول عام 1973 فشكّلت أهم حدث عربي في تلك السنة إذا اجتازت القوات المصرية بنجاح قناة السويس وخط بارليف الحصين، كما هاجم الجيش السوري القوات الإسرائيلية في مرتفعات الجولان محققاً انتصارات رائعة. وهذا ما أثار في العالم العربي موجة حماس شارك فيها الزعيم الاشتراكي التقدُّمي كمال جنبلاط، فوجه بتاريخ 11 تشرين الأول نداء إلى المواطنين جاء فيه[1]:

«أيها المواطنون الكرام،

بات في حكم المؤكد أن معركة السادس من تشرين الأول (أكتوبر) 1973 التي يخوضها العرب دفاعاً عن وجودهم وكرامتهم، وكفاحاً لتحرير أراضيهم المحتلة، هي دليل سياسي لتمييز الأصدقاء من الأعداء، وللفصل الحاسم بين مؤيدي الحق العربي العادل وبين مغتصبي هذا الحق.

ولقد بلغت الأمور حداً قياسياً من الوضوح، قبل المعركة وخلالها، إذ وقفت معظم الدول الأفريقية موقفاً مشرّفاً من قضية شعبنا حينما بادر بعضها إلى قطع علاقاته الديبلوماسية مع إسرائيل. وبادرت دول أفريقية أخرى إلى تأييد العرب سياسياً والإعراب عن استعدادها لدعمهم مادياً ومعنوياً وحتى عسكرياً.

كما أن دول عدم الانحياز التي عقدت آخر اجتماع لها في مدينة الجزائر، تلعب دوراً عالمياً فعّالاً في تأييد قضية التحرّر العربي المشتركة. وهي الآن تعمل على تشديد قبضتها الدولية القوية على العدو الإسرائيلي، الذي خدع كثيراً من الدول والرأي العام طيلة 25 عاماً من وجوده غير الشرعي فوق أراضينا المحتلة.

ويتوّج هذا الدعم العالمي للعرب موقف الدول الاشتراكية الصديقة لشعبنا، وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي الذي يستحق من العرب كل وفاء وتقدير لما قدّم من دعم عسكري فعّال، ومن بناء اقتصادي في جمهورية مصر العربية

(1) المرجع نفسه، ص 472 - 473.

والجمهورية العربية السورية، ولمواقفه الأخيرة المشرِّفة في الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن الدولي.

وفي الوقت نفسه، تنكشف أمام العرب والرأي العام العالمي، بمزيد من الجلاء والوضوح، مواقف الولايات المتحدة العدوانية التي باتت الداعم الأساسي لإسرائيل في كل المجالات ولاسيما العسكرية والسياسية والمالية.

ولهذا فإنّ الحزب التقدُّمي الاشتراكي إذ يشكر جميع الدول الصديقة للعرب، لا يمكنه إلا أن يدين بحزم موقف الولايات المتحدة المعادي لشعبنا. ويدعو كل المواطنين العرب إلى مقاطعة البضائع الأميركية، وضرب المصالح الأميركية النفطية وغير النفطية في الوطن العربي، وقطع العلاقات الديبلوماسية والاقتصادية معها».

كما أصدر الحزب التقدُّمي الاشتراكي من جهته في الثلاثين من تشرين الأول بياناً شاملاً حول المعركة العربية المصيرية أبرز ما جاء فيه[1]:

أ - مع حرب تشرين دخل العرب مرحلة جديدة من مراحل نضالهم التاريخي التحرُّري وأصبحوا يجسّدون أملاً كبيراً لأنفسهم ولشعوب العالم الثالث. لقد خاض العرب معركة بطولية شريفة رغم أن مستوى إعدادهم لها لم يكن متناسباً مع أهدافهم التحرّرية.

ب - لقد زعزع العرب أساطير عدة كان العدو يستعملها في حربه النفسية ضدهم، منها الوهم الشائع عن انهزامية المواطن العربي والزعم أن الجندي الإسرائيلي لا يُقهر. فالجندي العربي أكّد بسالته المعنوية الإنسانية وقدرته على التضحية بالذات، وكفاءته في استيعاب سلاحه وفي استعماله على أفضل وجه.

ج - وأثبت العرب قدرتهم على الإجماع السياسي، الأمر الذي يمكن أن يقلب موازين القوى في المنطقة وفي العالم لمصلحتهم.

د - الإشادة بالدول العربية النفطية التي قطعت النفط عن أعداء العرب، كما الإشادة بدول عدم الانحياز ودول

(1) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 473 - 474.

المعسكر الاشتراكي الذين دعموا النضال العربي في سبيل القضية الكبرى.

هـ - التنديد بالدور الأميركي الداعم لإسرائيل من خلال تغطية خسائرها وإرسال الأسلحة والذخائر والتعزيزات عبر جسر جوي إلى إسرائيل.

و - دعوة العرب للاستعداد لصنع ومواجهة المستقبل بالتشديد على سياسة طويلة الأمد قوامها المبادئ الآتية[1]:

1 - التضامن العربي الكامل.

2 - استخدام النفط في المعركة.

3 - سحب الأرصدة العربية من المصارف الغربية المؤيدة دولها لإسرائيل.

4 - مقاطعة اقتصادية للولايات المتحدة وللدول المؤيدة لإسرائيل.

5 - المحافظة على صداقة دول العالم الثالث والعالم الاشتراكي.

6 - عدم الإذعان لإرادة الخصم[2]

* * *

(1) المرجع نفسه، ص 476 - 477.

(2) انظر ملحق رقم 7: توصيات الحزب التقدُّمي الاشتراكي للعالم العربي (1973).

ملحق رقم 3

دورُ الاشتراكية في تطوّر السياسة العربية[1]

«لم يكن لدينا أي متّسع من الوقت في هذه الظروف الأليمة التي يمرّ بها لبنان والتي لم تعد تسمح للكثيرين منا إلا أن يفكروا بمصيرهم ودمار بيوتهم ومصير الآخرين وحالتهم... لذا فإنني سأعتذر هذه الليلة منكم لاقتصاري في هذا البحث على طوالع عامة ورؤوس أقلام..

أول ما يبدو لنا أن الاشتراكية - في مفهومها العام - هي حركة عقلانية Rationelle أكثر مما هي محض عاطفية. أي أنها تحاول دائماً أن ترى الأشياء كما هي وأن تلتقط تخطيط تطورها الممكن من خلال درس الوقائع التاريخية الاجتماعية والاقتصادية، وبذلك ترسم على الأقل المرحلة المقبلة لما يجب أن يحققه هذا التطور.

وفي هذا الباب، تختلف الاشتراكية تماماً عن بعض المعتقدات الجامدة التي «تثلجت» في نطاق التفكير المحض ولم تعد إلى الواقع لكي تناقش المبدأ على ضوء الواقع وتجعل الواقع ينسجم ويسير في قالب المبدأ..

(1) كمال جنبلاط، مختارات - أحاديث عن الحرية، الدار التقدُّمية، 1987، ص 215 - 220.

الاشتراكية، من هذه الوجهة تذكّرنا بكلمات جميلة وحقيقية جداً للمهاتما غاندي إذ كان يقول:

«إنني رجل مثالي واقعي».

«إن الحقيقة قاسية صلبة كالماس ولطيفة قابلة للانخداش كزهرة المشمش..

«إن حبي للحقيقة يجعلني أقدر قيمة وجمال التسوية»

«Mon amour de la réalité me fait considérer la beauté du compromis».

من هذا المدخل الصواب ومن هذه الشرفة السليمة من التفكير سأحاول أن أبحث دور الاشتراكية في تطوير السياسة العربية..

الاشتراكية والواقع العربي

إن أهم ما يعوزنا اليوم إدراكه في هذه المرحلة من تطوّرنا السريع كانطلاق السهم الطائر، هو: ما هو واقعنا الحقيقي في العالم العربي. لأنه لا يكفي أن نعتقد أننا هكذا وهكذا، وأن ننسب لأنفسنا هذه المقدورات أو تلك القوى والامكانات، بل يجب أن نرى أنفسنا كما نحن، ثم كيف يمكن أن نصبح لا كيف يجب أن نصبح.. وإذا حلّلنا الواقع العربي الحقيقي بالنسبة لكل دولة عربية ثم بالنسبة للعالم المحيط والعالم الأوسع، استطعنا أن نرسم سياسية سليمة، صحيحة القواعد غير مرتكزة إلى الأوهام والتخيّلات والرغبات. فالذي نرغب أن نكونه شيء والذي يمكننا أن نكونه هو شيء آخر.. بين الخيال والحقيقة بون شاسع.. وبعضهم ويا للأسف يتصور أنّ الخيال، محض الخيال، كل خيال هو مثل أعلى، فلا يفطن أنه يبني في فكره قصوراً من الورق لا يلبث أن يصبح بالنسبة إليه معتقداً يجذبه ويدفعه ويبعده عن محيط عيشه ونطاق تحقُّق إمكانات شعبه وواقعه..

والاشتراكية بتحليلها للواقع العربي ولكل واقع كما هو، على ضوء نطاقه الجغرافي وتحقّقه الاقتصادي وأنظمته القانونية ونظام الملكية فيه والعائلة، وقاعدة الوصية وما تفرضه من سلطة الأبوة، ورابطة الدين، ونضج روح المبادرة، وتبلور فكرة الحرية، والوعي والثقافة العامة وطرق توزع الأهلين بين الريف وبين المدينة، ودرجة التصنيع،

وتوزع الملكيات ونظام الأخلاق والدستور وسواها من العوامل المتنوعة، الاشتراكية تبتعد بنا بواسطة هذا التحليل عن الشارعية والغوغائية في السياسة العامة..

وأننا نذكر فقط للمثل لا أكثر:

- إن رقيّ الدول الحديثة المادي مرتكز إلى درجة تطورها الصناعي أولاً واستهلاكها للطاقة الكهربائية وسواها ثانياً واستهلاكها للحوم والسكاكر ثالثاً ونسبة الاستيطان في المدن رابعاً.. فالولايات المتحدة مثلاً يقطن خمسمائة وثمانين بالماية من أهلها في المدن وخمسة عشر فقط في الأرياف. أما فرنسا فلا تعتبر في مستوى أميركا من حيث الرقيّ المادي، لأن نسبة سكان الأرياف لا تزال مرتفعة إلى الخمسة وثلاثين بالماية..

وكذلك يقاس رقيّ الدول المادي بدرجة تطوُّر تصنيعها وخاصة في حقل إنتاج الفولاذ.. فالهند لا تنتج إلا مليون ونصف تقريباً من أطنان الفولاذ، بينما بريطانيا تنتج ما يقرب من الخمس وأربعين مليوناً من الأطنان الفولاذية.

وكذلك قوة الدول العسكرية، فهي ليست في العدد، بل في قدرتها على إنتاج صناعتها الضخمة.. أميركا تقاس بمئة مليون طن من الفولاذ ثم تأتي بعدها مجموعة أوروبا الغربية، ثم تأتي روسيا وهكذا دواليك..

أما رقي الفرد المادي فيُقاس طبعاً بارتفاع مستوى معيشته.

والاختلافات في هذه الميازين بين شعب وشعب آخر تؤلف في الحقيقة بعض عناصر الاختلاف في تصرفهم وطرق تفكيرهم وحتى في طريقة ونضج تمرُّسهم بالدستور وتطبيقهم للقوانين..

على أن ذلك يشكل فقط الواقع المادي، والبيئة المادية الجغرافية والحقوقية للإنسان. ويجب أن لا ننسى ذاك الواقع الآخر، الذي هو واقع فكري وما يبدر من هذا الفكر وما ينعكس عليه من تفاعله مع ذاك الواقع، وما يحمله هذا الفكر من تراث حضاري وتاريخ دين وفن وسواها من المؤثرات.

فالشعب في مرحلة من مراحل تطوُّره هو نقطة التقاء لخط من المكان نعبّر عنه بالواقع المادي، ولخط من الزمان نعبّر

عنه بالواقع الفكري.. والخطان أي الواقعان هما في تبدُّل وتغيُّر مستمرين.. فعلى الباحث أن يستطيع في كل مرحلة أن يتبيّن أين يقتطع الخطان..

إن القضية العربية ذاتها، إذا لم نواجهها من هذه الوجهة ونلحقها في مراحل تطوُّرها المكاني والزماني، تظل قضية عاطفية ليس لها مرتكز للتحقق..

إن مثل هذه الأنواع من التحليلات التي قد تطول بنا والتي أعتذر لعدم استطاعتي اليوم تفصيلها وتطبيقها على الواقع العربي تجعل الاشتراكية ضرورة ماسة من حيث نهجنا العام في التصرف والتفكير..

في إحدى اتجاهات هذا التفكير، استطعنا أن نتبيّن للمرحلة الحالية من تطور الأوضاع العربية ما الذي يمكن ويجب أن نتمسّك به لتحقيقه:

1 - التمسُّك بمؤسَّسة الجامعة العربية، كمؤسسة إقليمية للتعاون تخفّف من مجالات الاحتكاك والتعاكس والتنافر بين البلدان العربية وتجعلها منسجمة بعضها مع بعض بالرغم من تنوُّع أقطارها.. فالجامعة في هذه المرحلة، على الرغم من الانتقادات العنيفة الموجهة إليها، تشكّل الضمانة لبقاء الصف العربي وللوحدة المعنوية العربية، ولتمكين هذه البلدان من أن تلعب دورها في جامعة الأمم وضمن تجمُّع الدول الآسيوية والأفريقية..

وإن انهيار الجامعة قد يؤذن بذرّ قرون الشعوبية أو ما نسميه التناقض الفرعوني البابلي وظهوره من خلال كثافة العروبة وربما رابطة الإسلام ذاته..

فللواقع الجغرافي السياسي ردات فعل تذكّرنا أن تناقض الإقليم والبيئة الجغرافي لا يزال يفعل فعله، وما أزالته بعد رابطة الاقتصاد الحديث والتنقُّل المتكثّفة وصلات الفكر والثقافة المتزايدة..

ويزيد من تمسُّكنا في الجامعة اعتقادنا أن التناقض الحالي للعالم العربي ناجم جزئياً أيضاً عن أن العراق قد تفوق في سنة 1975 مصر من حيث مساحات الأرض المرزوعة، إذا نفّذت المشاريع القائمة في كل من البلدين ومن ضمنها مشروع السد العالي..

فيجب أن نحول ما أمكن دون أن

تنعكس هذه القدرة الاقتصادية إلى نزاع سياسي.

2 - الابتعاد بالعالم العربي عن كل حلف خارجي، باعتباره لا يمكن إلا أن ينجم عنه تهديم للجامعة وتقوية اصطناعة لأحد أعضائها على حساب الآخر، وإبراز للتزاحم على السيطرة السياسية..

3 - الابتعاد بالبلدان العربية عما نسميه نمو الروح العسكرية أو الروحية النازية المؤسسة على تحويل لمركب النقص فينا.. وذلك تفادياً للمغامرات الخطرة على مستقبلنا وعلى كياننا..

4 - الدعوة المستمرة لتقوية الشعوب العربية اقتصادياً وللتشديد على ذلك أكثر من التشديد على قوة الجيوش.. خاصة وأننا نعلم أن القوة الاقتصادية هي التي تتغلب في النهاية حتى في مجالات الحرب ذاتها، وخاصة أننا نعلم أن إسرائيل كانت تصرف سنة 1954 على مشاريعها الإنشائية ككل الدول العربية بما فيها العراق..

5 - التمسُّك برابطة الشعوب الآسيوية الأفريقية، التي أظهرت جدواها في توطيد السلام العالمي، وتحرير الشعوب المستعمرة.. وقد أضحى عدد الأصوات التي يمكننا الاعتماد عليها في الأمم المتحدة لمثل هذه الغاية أربع وعشرين صوتاً، أي نسبة تضمن لنا بالتعاون والاتفاق مع بعض الشعوب الصغيرة أكثرية في بعض المواضيع التي تهمنا..

6 - توضيح أقوى ومتزايد لعلاقاتنا بالعالم وذلك كي نخرج بالواقع من هذه الانعزالية التي يحاول أن يحصرها به بعض قصيري النظر الذين لا ينظرون أن كل مشكلة تقريباً في العالم أضحت لا تطرح ولا تعالج إلا على أساس عالمي، نظراً لتشابك العلاقات.

هذه أمثلة أكثر، دعت إليها الاشتراكية في لبنان (على يد الحزب التقدُّمي) وفي العراق على يد الحزب الديمقراطي الوطني، وناضلت في سبيلها لأنها كانت ترى أنها المستقبل القريب الواقعي المتحقق..

وإنني إذ أعتذر على هذا القليل نظراً لما سبق لي وقلت أذكّر أن مثل هذا النهج وهذا التوجيه من الاشتراكية العربية للسياسة العربية قد صح ودل على

صوابيته وبعضه تحقّق. لأن ليس المهم أن نعيش في الخيال بل أن نرى الواقع وأن نستطيع توجيهه، وأن ندرك أننا بحاجة إلى عقل تنيره العاطفة أو عاطفة يوجهها ويسيطر عليها العقل، أكثر من هذا الشهود العاطفي الجامح الذي نراه.

يمكن لنا التباهي بالفتوحات العربية، ولكن الروح التي دفعت إلى الفتوحات هي الأهم، هي الأفضل، هي الأروع. وعلينا أيضاً أن لا نعجب كثيراً بالقنبلة الذرية ومفعولها، بل أن نعجب أكثر بالعقل الذي ابتدع واليد التي صنعت وأطلقت من عنانها قوى الكواكب التي قد تكون قوى الجحيم ذاته.. بمثل هذا يجب أن نبدأ.

وربما تكون الحقيقة ونزعة الخير فينا أفضل وأهم.

من هنا نبدأ».

* * *

ملحق رقم 4:

موقف الحزب التقدُّمي الاشتراكي من القضايا الإقليمية (1957)

أصدر رئيس الحزب التقدُّمي الاشتراكي كمال جنبلاط، بعد جلسة الجمعية العمومية للحزب المنعقدة في 24 تشرين الأول 1957، بيان الحزب العام معلّقاً فيه على الأوضاع الداخلية والخارجية.

جاء في البيان حول موقف الحزب من الحرب الباردة والأوضاع الإقليمية ومبدأ آيزنهاور ما يأتي[1]:

«واجه الحزب معضلات عديدة ومواقف صعبة في البلاد نذكر منها على سبيل المثال، في الحقل العربي والدولي:

1 - ....

2 - **مواجهة أوضاع الحرب الباردة** التي كانت ولا تزال تحاول أن تستخدم الدول والشعوب العربية كقطع من الشطرنج في ميدان التصارع العالمي على السيطرة وعلى النفوذ. فكان حلف بغداد، وموقف الحزب معروف بالنسبة إليه وكان أول من ناضل لإحباطه، من بين أحزاب الشعوب العربية وزعمائها وقادة

(1) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 244 - 246.

دولها كافة. وكنا أول من أدركنا خطره على وحدة الصف والنضال العربي، وكانت تكلّلت جهود الحزب بالنجاح بمنع لبنان الرسمي من الانضمام إلى الحلف المذكور وساهمت في تعميم فكرة مناوأة الحلف في الأوساط العربية، وفي إرشاد الشعوب العربية إلى الفائدة القصوى التي تنجم بالنسبة إليهم من اتباع وتحقيق سياسة القوة المعنوية الثالثة المتمثلة بمبدأ الحياد السياسي (أي عدم الارتباط السياسي والعسكري) المقرون بالتعاون الإيجابي.

ثم كانت بوادر الصفقات العسكرية وبعض المعونات الاقتصادية والتقنية التي حصلت عليها بعض الدول العربية من الدول الشيوعية، والتي جاءت تلبية لحاجة ملحّة للشعوب العربية في النهضة الاقتصادية والعلمية وفي التبادل التجاري الأوسع وتصريف الإنتاج وخاصة الإنتاج الزراعي المتكدِّس بسبب موقف الغرب المستنكف عن الشراء، وبعد رفض الدول الغربية تزويد بعض الدول العربية بالسلاح والعتاد الكافي للدفاع عن نفسها وتمسُّك الدول الغربية الكبرى بمبدأ التوازن الحربي بين إسرائيل من جهة وجميع الدول العربية من جهة أخرى. ثم تلا ذلك تردد مصر في قبول قرض المصرف الدولي ومعونة بريطانيا والولايات المتحدة المالية لإنشاء هذا السد، وإعلان هذه الدولة الأخيرة إلغاء تقديمها المعونة في محاولة أخرى للضغط وللحرب الباردة.. وكان تأميم القنال النتيجة الطبيعية لرفض دول الغرب تمويل السد العالي.. وكانت محاولة العدوان الغاشمة الفرنسية البريطانية وانخفاض تصدير البترول إلى أوروبا انخفاضاً أدى إلى حدوث أزمة اقتصادية خطيرة..

ولكن الصراع ما لبث أن عاد في محاولة الولايات المتحدة التي تجسّدت في مشروع مبدأ آيزنهاور المشهور. وهو أيضاً - إذا تطلعنا إليه ببعض التجرُّد - مرحلة جديدة من مراحل الحرب الباردة الرامية إلى إملاء المكان الشاغر في علاقاتنا الدولية بسبب تقلص النفوذ الفرنسي والبريطاني في الشرق..

وحرص الحزب التقدمي الاشتراكي، طوال هذا الصراع القائم بين

الدول الكبرى على كسب ود الشعوب العربية وعلى النفوذ المعنوي والاقتصادي، أن يؤكد ويوضح على الدوام المبادئ والأسس التي رافقت نمو نظريته بالقوة المعنوية الثالثة وبالحياد السياسي المقرون بالتعاون الإيجابي وبالسلم وبالاستقلال والسيادة الحقيقية. ومن ضمن ما كان يوضحه ويظهره على الدوام ولا يزال:

أولاً: إن سياسة الحياد السياسي المقرونة بالتعاون الإيجابي هي أفضل سياسة لمجموعة الدول العربية ولكتلة الدول الآسيوية والأفريقية على السواء. لأنها تؤمّن مصالح هذه الدول المتنوّعة في التبادل التجاري والعون المالي والاقتصادي والعلمي وفي المصالح السياسية والوطنية الأساسية، عدا عن أنها أداة ذات فعالية في تقليص نفوذ الاستعمار عن قارتي آسيا وأفريقيا بكاملها. كما وأن هذه السياسة الحيادية تمكّن الشعوب العربية من حل مشكلة إسرائيل بما يتوافق مع مصلحة سكانها الأصليين.

ثانياً: إن سياسة الحياد السياسي المقرونة بالتعاون الإيجابي يجب أن تتجرد عن العاطفة بالمعنى الشعبي المبتذل الذي يكتنفه الجهل والتطرُّف وبالتالي التهوُّر والانزلاق. وأن تسعى دائماً لتوضيح الفكرة بأن الصراع في الشرق لا يقصد منه فقط خير الشعوب - محض خيرها - من أي جهة بدر العون والتأييد والمساعدة، بالرغم من أن في مثل هذه المبادرات ولا شك نظرة وتطلعاً إلى خير هذه الشعوب ونفعها، وما من بشري يستطيع أن يتجرد عن الفكرة الإنسانية.. ولكن التسابق على النفوذ في الشرق وعلى منابع النفط وعلى اقتصاد الشرق هو الهدف الأساسي والدافع الحقيقي للحرب الباردة القائمة.. فيجدر بقادة العرب وبالشعوب العربية أن يتنبهوا دائماً إلى ذلك.. فمن نزعات الطبيعة البشرية أن ينزع الأفراد وتنزع الدول إلى تأمين مصالحها في النفوذ وفي السيطرة وفي الثراء وفي القوة الاقتصادية والحربية..

ثالثاً: يجب تجريد نظرية الحياد السياسي في تطبيقها من إثارة الحقد السياسي والكراهية بالرغم من أن الحقد

بما يتضمنه من عنف هو أحد معاول التاريخ الفاعلة.. ولكن تعميم فكرة الكراهية للدول الشيوعية وشعوبها وللدول الغربية وشعوبها يضعف من مفهوم الاستقلال السياسي الذي نتمسك به ويقضي على فكرة الحياد ذاتها ويحول دون ارتدادنا بما يلزم من المبادرة إلى قبول العون غير المشروط من أية جهة أتى. وبالتالي يحول دون إفادتنا من موقف الحياة ومن حريتنا في المبادرة ويقضي نظرياً وعملياً على فكرة الحياد السياسي ذاتها.

رابعاً: يتطلب موقف الحياد السياسي تقويماً جوهرياً لأوضاعنا الداخلية وضبطها. والاشتراكية تستطيع وحدها أن تبعث في الشعوب العربية هذا المقوّم الإيجابي والمحرِّك الذاتي المركّز الذي يحول، في تطبيق سياسة الحياد، دون الانجراف وراء هذا القطب أو ذاك ووراء مختلف الأيديولوجيات.. ويهمنا أن نثني على السياسة الحكيمة التي اتبعتها بعض الدول العربية والآسيوية (بورما، الهند، مصر) في إعلانها أن الهدف الاشتراكي هو محور تطور وصيرورة الدولة، وتبنيها للإصلاحات الاشتراكية المعتدلة.. ونرقب اليوم الذي تستطيع فيه الدول العربية كافة تبني الاشتراكية قولاً وعملاً.. ففي الاشتراكية الرد العملي لما قد تكتنفه أوضاعنا الداخلية من فراغ حقيقي من حيث تطلبات الفئات الاجتماعية المختلفة في حقل التملُّك والدخل الفردي والعمل ومختلف ضمانات العيش وحقوق الإنسان..

خامساً: إن الحياد السياسي لا يدوم إلا إذا نهجنا سياسة تنوُّع العلاقات وخاصة الاقتصادية والسياسية منها Les relations plurilatérales. فالارتباط الاقتصادي مع الغرب من حيث احتكار التبادل التجاري مثلاً خطر على استقلالنا كانحصار ارتباطنا وتبادلنا الاقتصادي بالعالم الشيوعي.. والاستقلال يتبع الاقتصاد وينجم عنه.. فتنوُّع العلاقات السياسية والاقتصادية وعدم حصرها ضرورة بالرغم من النزاعات القائمة بيننا وبين بعض الدول الغربية أو سواها من الدول...

3 - موقف الحزب من مشروع آيزنهاور:

وقد أوضحه مجلس الإدارة في حينه، وكان ربما هذا التعليل الدقيق والتوضيح للمشروع النظرة الصائبة الوحيدة فيما تهافت الناس بين مستنكر متطرِّف ومؤيِّد متطرف.. وإننا كنا ولا نزال رغم ما أوردناه من انتقادات، عند رأينا السابق في المشروع.. فعلى قدر ما يشكل هذا المشروع ارتباطاً سياسياً ومعنوياً ظاهراً يرمي إلى إبدال نفوذ أجنبي بنفوذ آخر، ومحاولة للعون مشروطة، فلا يمكننا إلا أن نكون ضد هذا المشروع. وعلى قدر ما يتضمنه هذا المشروع من عون اقتصادي وعلمي وعسكري، فإننا نرحّب بالعون من أية جهة أتى.

وهذه الوجهة تفرض علينا التنكُّر لبيان ريتشاردز - مالك والمطالبة بضرورة تعديله وحتى إلغائه، ليس فقط لأنه يناقض روح الميثاق الوطني، بل لأنه يعاكس مبدأ الحياد السياسي وعدم الارتباط. فكل مشروع عون هو بالنسبة إلينا صندوق من المال أو الكفاءات يوضع تحت تصرفنا لنعرف ما اتفقنا أن نأخذ منه، وذلك بدون مراقبة ولا قيد ولا شرط، فيما عدا طبعاً استخدام المال للمشاريع العمرانية. ومثل هذا التحفظ وارد فقط بسبب قيام الحكومات المتأخرة الرجعية في الشرق.. ولو وضع مشروع مبدأ آيزنهاور على أساس صندوق للعون أو مصرف للقرض بفوائد زهيدة لا أكثر، لما كان فشل في تطبيقه وخاصة في قبول الرأي العام به.

....».

* * *

ملحق رقم 5:

مقال للرئيس كمال جنبلاط بعنوان «لبنان والوحدة العربية»[1]

«إن لبنان، يتألف على غرابة ما فيه من ازدواج وتناقضات، من تيارات فكرية وحضارية مختلفة تنتسب إلى أحقاب تراثية متفاوتة في عمقها في التاريخ، كأن تطور الشرق العربي، قبل الإسلام والمسيحية وبعدها قد تجمّع فيه وانكفأ ضمن حدوده.. ولعل في تكوين طبيعة لبنان الجغرافية وفي ما انقسمت إليه من أودية تفصلها، بعضها عن بعض، جدران حقيقية من الجبال، فتتوزع المنبطحات والوديان والأنهر والسهول الصغيرة فيما بينها كأنها مقاطعات ومناطق إقليمية متعددة، لها لهجتها الخاصة بها، ولها تقاليدها، ولها معتقداتها ولها روح جماعية تختلف في مفاهيمها ونظرتها لشؤون الحياة وللوجود، كما عبرت من منطقة إلى منطقة أو قفزت من مستوى ارتفاع إلى مستوى ارتفاع آخر بالنسبة للبحر، في حركة تسلقك صعوداً نحو الجرود العالية التي تكللها القرى إلى علو ألف وستماية وألف وثمانماية متر وأكثر، أو هبطت في نزولك نحو مستوى الماء المالح الذي يدين

(1) كمال جنبلاط، حقيقة الثورة اللبنانية، الدار التقدُّمية، المختارة، 1987 - ص 57 - 76.

له «الجبل - الجدار» بأمطاره، ولطف مناخه - هذا المناخ الذي ينتقل بك، في نصف ساعة من انطلاقة السيارة، من الطقس الشبه الاستوائي ورطوبة وحرارة وإنتاجاً زراعياً، إلى ثلج وأرز وقِمَم الأقاليم الباردة وإنتاجها.. وقد تجمعت ضمن حدود لبنان وتوزعت، في زوايا جباله، جميع الهرطقات والمذاهب تقريباً التي شهدها الشرق الأوسط، عبر تاريخه الشامل لثلاثة آلاف من السنين بعد أن كانت تتقلص أو تكاد عقب انتشارها وسيطرتها على سهول ومربعات سوريا والجزيرة العربية والهلال الخصيب والمغرب العربي ومصر وإيران.. وطبيعة السهل أن لا تتسع لغير العقيدة البسيطة في تركيبها الفكري والوحدة الشاملة.. وهكذا كان أنه كلما تعقّد معتقد أو مذهب، بفعل مختلف تيارات التراث، وتقلص عن مستوى مفاهيم السهول والبيادي والصحاري الفسيحة، لجأ إلى لبنان ينزوي في إحدى وديانه أو منبطحاته.. فلبنان في هذه الوجهة فسيفساء مصغّرة لخريطة الشرق الأوسط ومصر والمغرب.. وكل قرية أو دسكرة إمارة صغيرة لها طابعها الخاص.. أو كأنه متحف حي لمخلّفات الشرق التراثية.. فالسريانية - وهي فرع متأخر للآرامية الكنعانية - لا تزال لغة معتقد الطائفة المارونية، واليونانية وألحانها مرتكز طقوس الأرثوذكسية، وفي الدرزية شيء كثير من الأفلاطونية القديمة والمستحدثة، وفي الشيعة شيء من اليونان ومن إيران.. فهناك ستة عشر مذهباً وهرطقة ومدرسة فكرية وملة.. هذه الفسيفساء يجمعها ويضمها بعضها إلى بعض، وحدة الجبل الطبيعية المتأكدة بالرغم من توزع زواياه وتعاريجه والتفاتاته - هذا الجبل «الحد» الفاصل بين سهول وبيادي الداخل وسهول مياه البحر المتوسط المالحة التي تتمدد وتزحف لتلُفّ وتغطي أقدامه.. وهذه الفسيفساء يجمعها ويضمها ويوحّدها في تدرُّج متزايد، في العصر الحديث، رباط اللغة العربية وتراثها السياسي والاجتماعي والعلمي والأدبي النامي، و«صمغ» الشعور العربي والوعي العربي المتطوِّر والمتركِّز أكثر فأكثر على وحدة المصالح ووحدة الاشتراك في الحياة في عالم تتقلص

وتكاد تمحي حدوده، ووحدة المصير...

وهذه العناصر المؤلفة من أزواج متباينة متنافرة أحياناً بالبلد اللبناني إلى التفكُّك والانزواء والانعزال، ورابطة الوطنية والعروبة ووحدة التعايش والشعور بالمصير المشترك تدفع «بأجزاء لبنان الروحية» وبأقسامه الطبيعية الجغرافية إلى التكتُّل والتجاذب والانصهار..

ولا يمكن فصل الوطنية اللبنانية، إلى حد كبير، عن الشعور العربي وعن الوعي العربي، كما تأكدنا ذلك بوضوح لا يخامره شك في اختبارنا الوجودي الصميمي أيام اندلاع ثورة لبنان الأخيرة.. وما كانت محاولات فخر الدين المعني وسواه من كبار أمراء لبنان في حقل إنشاء دولة مستقلة، إلا تمهيداً للنهضة السياسية العربية فيما بعد..[1].

وإذا ما عدنا إلى التاريخ الحديث نرى هذا الارتباط الحياتي الصميمي جلياً.. فبعد هذا الانبعاث السياسي المتمثّل بسيطرة عائلة محمد علي في مصر وعلى سوريا وبعض أجزاء الجزيرة العربية وحملته على الإمبراطورية العثمانية، هذه الانطلاقة التي يسميها جورج أنطونيوس «البداية الخاطئة» - في محاولة إنشاء سلطنة صغيرة على شواطئ البحر المتوسط. بعد هذا الحدث العسكري والسياسي العابر الذي كان له ولا شك أثره في الوضع المعنوي العام للشرق العربي، بدأت النهضة العربية، في الحقيقة وفي الواقع، يوم أخذ الوعي للأدب العربي ولأسرار كنوز لغة الضاد ينبثق في لبنان وينمو وينتشر. وما لبث الوعي السياسي للقضية العربية وللقومية العربية، أن استيقظ بدوره وأخذت موجة تحققه واندفاعه تقوى وتعم الأقطار

(1) كما كانت بالنسبة للقطر السوري حركات ومحاولات الانتفاضات الشعبية، لبعض الأمراء وبعض الزعماء المغامرين وخاصة محاولة الأمير علي باشا جانبولاد، جد الأسرة الجنبلاطية اليوم في لبنان وتأسيسه لإمارة شملت سوريا من حدود كيليكيا حتى عريش مصر (راجع المؤرخ الأب قرعلي)، وكذلك الثورات المتصلة تقريباً لسكان جبل الدروز في سوريا - جبل العرب - ضد السيطرة العثمانية..

العربية، تتدفق إليها من البلد اللبناني الصغير..

أما النهضة الأدبية فقد سبقها ومهّد لها قدوم بعثات التبشير الأجنبية وإقامتها في سوريا - وكان هذا الاسم مشتركاً للبنان وسوريا آنذاك في التسمية العادية وفي معجم أرباب التاريخ والجغرافيا - وذلك منذ بدايات القرن السابع عشر. وكان همّ هذه المؤسسات التبشيرية بادئ ذي بدء - على هامش نشاطها التثقفي - نشر الدين المسيحي، والتسابق فيما بينها، يوم أقبل المبشّرون الأميركيون البروتستانت بدورهم، على الزيادة من عدد المؤمنين بهذا او ذاك المذهب من المعتقد المسيحي الواحد... وكان لا يزال التنافس فيما بينها قنص أرواح الناس، هذا إلى الجنة وذاك إلى جهنم، على أشده.. وفي سنة 1834 أعاد الآباء العزاريون الإفرنسيون فتح كلية عينطورة للصبيان. ثم كان الحدث الثاني وهو انتقال مطبعة هيئة التبشير الأميركية بآلاتها ومعداتها من مالطة إلى بيروت. والحدث الثالث كان تأسيس مدرسة للبنات على يد «إلى سميث» وزوجته.. أما الحدث الرابع فكان أن دخل إبراهيم باشا لسوريا وحقق نظاماً واسعاً للتعليم الابتدائي للصبيان على شاكلة ما قام به والده في مصر.. وكان مستوى التعليم قبل ذلك منخفضاً جداً، بالرغم من المحاولات التي برزت في مدرسة عينطورة (المتن) المارونية، للإكليريكيين الجدد، التي أوكل أمر إدارتها لليسوعيين، وفي كليات زغرتا (1735) وعين ورقا (1789). وكانت قد تأسست مطابع عربية في اسطمبول (1816) وفي القاهرة (1822) أخذت تسهم في طباعة ونشر بعض الكتب.. ولم يكن نشاط هيئات التبشير الكاثوليكية أقل بروزاً من إخوانهم البروتستانت، فقد تأسست على يدهم عدة مدارس وكليات منها: في بيروت (1839) وغزير (1843) وزحلة (1844) ودمشق (1872) وحلب (1873)... وتحولت مدرسة غزير سنة (1875) عند انتقالها إلى بيروت إلى جامعة القديس يوسف في مقابل الجامعة الأميركية (الكلية البروتستانتية السورية التي كانت قد تأسست وانطلقت سنة 1866 في بيروت)..

هذه النهضة التعليمية وهذا التسابق على حشد الناس على أبواب الجنة دفعت بالنهضة الأدبية واللغوية إلى النمو والازدهار.. «وبدون مدرسة أن كتاب لا يمكننا أن نتصور نشوء الأمم في العصور الحديثة»، على حد تعبير جورج أنطونيوس.. وكانت هذه النهضة الأدبية عربية في كل ما لهذا التعبير من دلالة، تمثلت بشخصيتين كبيرتين: ناصيف اليازجي (1800 - 1871) وبطرس البستاني... ثم أخذت تنتشر الجمعيات العلمية: «جمعية العلوم والفنون» (1847) التي أسسها اليازجي والبستاني، وكان الكولونيل تشرشل المشهور أحد أعضائها، وكانت تضم خمسين عضواً معظمهم من المسيحيين. ثم عمد الآباء اليسوعيون إلى تأسيس «الجمعية الشرقية». ثم ما لبثت هاتان المحاولتان أن اندثرتا وانبثقت «الجمعية العلمية السورية» التي كانت تضم ماية وخمسين عضواً من مختلف الشخصيات العربية والمعتقدات، وكان يرأسها الأمير المثقف الدرزي محمد أرسلان.. وفي بعض الاجتماعات السرية لهذه الجمعية العلمية السورية، على حد تعبير جورج أنطونيوس الشوفي[1]، ارتفعت أول صرخة، وجاش أول نداء لحركة القومية العربية.. وكان أحد أعضاء هذه الجمعية الأديب الكبير إبراهيم اليازجي أحد أولاد ناصيف، قد نظم قصيدة بشكل نشيد ضمنها الدعوة للأمة العربية ولتحقيق أمجادها الغابرة، والقضاء على المنازعات الحزبية والطائفية، متهجماً على ظلامات الحكم القائم وعدوانه، داعياً «السوريين» إلى التكتل والتضامن لأجل الخلاص من نير الاحتلال العثماني.. وقد كان لهذه القصيدة الوطنية العربية انتشاراً هائلاً في البلاد، يتناقلها الناس عن ظهر قلب...

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي دامت خلافته ثلاثاً وثلاثين سنة حتى سنة 1909، نمت الفكرة العربية التي رأينا بذورها تتوزع وتنتشر منذ بدايات القرن التاسع عشر، وأخذ

(1) جورج أنطونيوس: مؤلف كتاب «اليقظة العربية» (The Arab Awakening) الشهير، وهو من مواطني الشوف ومن مواليد عنبال.

الوعي العربي القومي الذي انبثق من أرض لبنان وسوريا يعمّ الأقطار المجاورة الناطقة باللغة العربية.. وكان نظام 1864 الموضوع يضمن للبنان الصغير حرية نسبية في التعبير عن الرأي وفي حقوق المواطن العامة، واستقلالاً محدوداً، بالرغم مما اشتمل عليه هذا النظام من تكريس وإذكاء وتقوية للطائفية السياسية في أنظمة الدولة - الأمر الذي لا نزال نعاني آلامه ونئن من نتائجه ومن تأثيره على المجتمع اللبناني - هذا التكريس الطائفي - الذي سيشكل، أحد أسباب الثورة اللبنانية الأخيرة..

أما هذا الوعي الوطني العربي، فقد تمثل أولاً في الحقل السياسي، وفي النطاق اللبناني السوري، يوم أقدم خمسة من الشباب المثقفين في المدرسة السورية البروتستانتية في بيروت على تأليف جمعية سياسية سرية.. وكان هؤلاء الشبان الخمسة جميعهم مسيحيين، على أنهم قرروا فيما بعد أن يضموا إليهم بعض الدروز والمسلمين الآخرين، لما لمسوه من ضرورة ذلك.. وكان مركز الجمعية في بيروت، ثم أقاموا لهذه الجمعية فروعاً في دمشق وطرابلس وصيدا.. وكان هؤلاء الشباب - نظراً لأهدافهم الثورية - يعملون في الكتمان الشديد.. وتحقق أبرز نشاطهم في تعليق البيانات المغفلة في الشوارع.. وكانت هذه البيانات تثير اهتمام الناس وتشكل محور أحاديثهم وتعليقاتهم في أنديتهم الخاصة، ثم يعود «الإخوان المتآمرون» على سلامة الدولة، وينشرون البيانات المغفلة الأخرى على ضوء ما كان يجري في هذه الأندية من تقولات وتعليقات.. وسيطر القلق على سلطات ذاك العهد مما كانت تتداوله على التوالي شوارع المدن الكبرى من عملية لصق الإعلانات، كأنها تجري بسرعة هائلة وإتقان وتصميم مسبق.. وكان بين أعضاء هذه الجمعية السرية الدكتور فارس نمر، أحد مؤسسي المقتطف والمقطم، فيما بعد في مصر.. أما أهداف الحركة فقد أعلنتها الجمعية وحددتها بما يلي:

- «منح الاستقلال لسوريا وبالاتحاد مع لبنان».

- «الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد».

- «إزالة الرقابة وسواها من القيود المفروضة على حرية التعبير ونشر المعرفة».

- «عدم استخدام وحدات الجيش التي ينتسب أفرادها لسوريا وللبنان خارج حدود هذه البلاد..»

ولما تطورت القضية العربية وتحددت مفاهيمها، كان للبنانيين إسهام كبير، في بلادهم وفي مصر والسودان والعراق والعربية السعودية، في تطويرها ودعم انطلاقتها، وتزعم نضالها، وخاصة في حقل تأسيس الصحف والمجلات وبعث النهضة في الأدب العربي والشعر وتأسيس دور الطباعة والتعليم وإنشاء الجمعيات السياسية كجامعة الوطني العربي (Ligue de la partie Arabe) التي أسسها في باريس سنة 1904 نجيب العازوري، وكان هدفها المعلن تحرير سوريا والعراق من السيطرة العثمانية. وجمعية «الإخاء العربي» وجمعية «المنتدى العربي» ثم «القحطانية»[1] وجمعية «العربية الفتاة»[2] التي كان الأمير فيصل فيما بعد أحد أعضائها؛ و«جمعية العهد» السرية للضباط العسكريين، وحزب اللامركزية الإدارية العثماني[3] إلخ.

وكان التيار اللبناني الانكماشي التقليدي، يتمثل في مقابل هذه الجمعيات العربية، في بعض المحاولات والتكتلات «كجمعية الأرز» وسواها، التي لم يكن لها أثر كبير في النضال الثوري المباشر، لتغلغل فكرة الحماية

(1) ومن أعضاء القحطانية: سليم الجزائري «دمشق»، الأميران أمين وعاجل أرسلان «لبنان»، خليل حماده «بيروت»، أمين قوزما «حمص»، علي النشاشيبي «القدس»، صفوت العوي وشكري العسلي «دمشق».

(2) ومن أعضائها: عوني عبد الهادي «جنين»، جميل مردم «دمشق» محمد المحمصاني «بيروت»، رستم حيدر «بعلبك»، توفيق الناطور «بيروت»، رفيق التميمي «نابلس»، عبد الغني العريسي «بيروت». وقد شنق الأتراك ثلاثة منهم هم الناطور والمحمصاني والعريسي..

(3) ومن أعضائه: رفيق العظم «دمشق»، رشيد رضا «طرابلس»، إسكندر عمون «ديرالقمر، لبنان»، فؤاد الخطيب «لبنان»، سليم عبد الهادي «جنين» حافظ السعيد «يافا»، نايف شلق «دمشق»، علي النشاشيبي «القدس».

الأجنبية وضرورتها وسيطرة مركب الانعزالية والخوف على هذه المحاولات، خاصة بسبب ما خلفته في الأذهان حوادث (1840 - 1860) المؤسفة.. على أن هذه المحاولات والتكتلات ساهمت في إدماج الشعور العام المسيحي اللبناني التقليدي المتطرف وفي صهر نشاط رجال الدين السياسي في الحركة التحريرية العامة.. فتلاقى الجميع على أنهم عرب مستعمَرون (بفتح الميم) مقابل أتراك مستعمِرين (بكسر الميم)..

ثم اندلعت الثورة العربية في الجزيرة واشترك العديد من إخواننا المسيحيين فيها وساهموا في تنظيمها ورافقوا فيصلاً جنباً إلى جنب معه[1].. وكان أن تقلّصت السيطرة العثمانية على بلاد العرب إثر الحرب العالمية الأولى، فظهرت من جديد الانشقاقات العقائدية والتوجيهات المختلفة في النضال الوطني اللبناني العام. وتجلى التيار الانكماشي التقليدي في مطالبة فريق من اللبنانيين، وعلى رأسهم رجال الإكليروس الماروني وكثرة الزعماء المسيحيين مع نفر من المتزعّمين السُّنّة والشيعة والدروز، بالمطالبة باستقلال لبنان الوهمي تحت رعاية وحماية الانتداب الإفرنسي.. فبدا للملأ أن الاتحاد إبان المعركة وفي المحنة إنما كان لأجل الخلاص من الاستعمار التركي لا أكثر وإبداله بانتداب آخر.. فكانت الفرقة بين اللبنانيين. وهذا الشعور العميق بالجفاء وهذا الاتهام المشترك بخيانة لبنان (هؤلاء لأنهم يريدون الوحدة مع سوريا، وأولئك لأنهم يريدون بقاء الاحتلال الأجنبي في البلاد!..).

وما كانت مؤامرات الدول الأوروبية الكبرى على تقسيم أجزاء واسعة من العالم العربي فيما بينها، وتدخُّل الإفرنسيين العسكريين لإزالة حكم فيصل عن دمشق وسواها من الأحداث، إلا لتزيد الكبت الداخلي بالنسبة للوطنيين «الوحدويين» العرب في لبنان وكل من لفّ لفّهم ممّن لا يروق لهم الاحتلال والمبدأ الطائفي المسيحي الذي انبثقت

(1) نذكر على سبيل المثال جورج أنطونيوس وسليم عمون..

منه الدولة اللبنانية المستحدثة - على عكس سابقاتها في التاريخ التي لم ترتدِ مطلقاً طابع ومركب الأقليات..

ولما وقعت انتفاضة سوريا سنة 1925 التي تمثّلت بثورة إبراهيم هنانو وخاصة بثورة جبل الدروز (جبل العرب فيما بعد)، وامتدت هذه الثورة إلى مناطق راشيا وحاصبيا والشوف وبعلبك في لبنان، واجتاحت قوات الثورة وعلى رأسها الأمير عادل أرسلان وفؤاد بك سليم هذه المناطق، أوشكت الحرب الطائفية أن تندلع من جديد، لشعور كثرة اللبنانيين المسيحيين بأن انتصار الثورة السورية يعني تقلُّص النفوذ الإفرنسي عن سوريا، مما يمهد لزواله عن لبنان أيضاً... وقد أفاد الإفرنسيون من هذا الشعور ليضرموا نار الفتنة وليشوّهوا الانتفاضة الشعبية السورية الكبرى التي استمرت ثلاث سنوات في وجه أقوى جيوش الحلفاء آنذاك. فكان اللبنانيون في بعض المناطق المشتركة في سكناها يستيقظون، ليشاهدوا أحياناً جثة درزي قتيل قد وضعت بالقرب من بلدة مسيحية، أو جثة مسيحي بالقرب من قرية درزية.. وكنا لا نشك أن للأمن العام - الإفرنسي يد في ذلك.. ولولا تدخل العقلاء وبينهم سيدتي الوالدة، ولولا الانضباط الذي تحلى به الثوار، لكانت وقعت - لا سمح الله - الواقعة.. واندلعت نار الفتنة الطائفية..

وظل البلد اللبناني على هذه الحال من التناقض الداخلي والانشقاق والقلق والحذر المشترك حتى سنة 1936، بالرغم من محاولات الإفرنسيين اليائسة في صهر المتنكرين للوضع وبعض زعمائهم في بوتقة المواطنية «الإفرنسية اللبنانية» على طريقة الجزائر أو ربما جزيرة كورسيكا.. وكانت التظاهرات والاضطرابات في المدن الكبرى، وأعمال الشقاوة تتكرر وتستمر، تستمد حيويتها من هذه النقمة والفرقة ذاتها.. وارتفعت المطالبة بالدستور التي التفّ حولها الرأي العام اللبناني لاقتناعه بأنها الخطوة التمهيدية الأولى في طريق المطالبة بالاستقلال والسيادة.. وظفر اللبنانيون بدستورهم، على أن تنفيذه ظل رهن إرادة وأهواء السلطة المنتدبة الإفرنسية، فكان يعلّق ثم يعاد العمل به..

وتمَّ تأليف الكتلة الدستورية التي كان يرأسها بشارة الخوري، ومعظم رجالاتها من المسيحيين كميشال زكور وسليم تقلا، للمطالبة بالدستور وبعدم تعليقه.. وأيّد التيار الوطني العربي هذه المطالب وساندها.. وما لبث أن التقى الفريقان على صعيد واحد، على الأقل فيما يتعلق ببعض شؤون الحكم الداخلي اللبناني.. ثم تطور الامر بالكتلة الدستورية إلى المطالبة بالاستقلال مع إنشاء ارتباط تعاقدي بمعاهدة مع الإفرنسيين، كما أن أعضاء الكتلة الدستورية قبلوا بصيغة لبنان العربية.. وكان هذا الإعلان في الواقع رقبة الجسر التي مهدت للقوى الشعبية المتناقضة أن تتلاقى وأن تنفتح بعضها على بعض وأن تتفق على المطالبة باستقلال البلد اللبناني، خاصة عندما أخذت مساوئ حكم الانتداب الداخلية تظهر للعيان فانجرف في موجة النقمة، المسيحي والمحمدي على السواء...

وكانت معاهدة 1936، المعروضة من قبل السلطة الإفرنسية على سوريا إثر تسلُّم الجبهة الشعبية مقاليد الحكم في فرنسا، الباب الطبيعي الذي انفتح أمام اللبنانيين أيضاً للخلاص من السيطرة الأجنبية المشتركة.. وكل ما ينفذ في سوريا لا بد أن يجري شيء يقابله في لبنان.. وهكذا تم توقيع أول معاهدة، في طريق الاستقلال، بين ممثلي الحكومة والمعارضة اللبنانية من جهة، وبين الفريق الفرنسي المفاوض. إلا أن المجلس النيابي الإفرنسي رفض إبرام هذه المعاهدات.. وكان على اللبنانيين أن ينتظروا الحرب العالمية الثانية وسنة 1943، ليحققوا أمنيتهم الغالية هذه... وكان الرأي العام اللبناني أخذ يتقارب كثيراً بعضه من بعض وبدأت الشقتان تنسجمان وتتوافقان وكأنهما على وشك الانصهار..

وولد الاستقلال سنة 1943، في هذه النشوة التوحُّدية بين مختلف أجزاء الوطن اللبناني وتنوُّع مذاهبه ونزاعاته واتجاهاته، بالرغم من مقاومة التيار الانعزالي التقليدي..

وتم دخول لبنان في الجامعة العربية التي تأسست آنذاك والتي ساهم في فكرة تأسيسها بعض رجال الدولة اللبنانيين، وذلك دون أن يقع أي رد فعل يُذكر للفئة

الانعزالية.. وقد كان لرياض الصلح ولعبد الحميد كرامي ولبشارة الخوري سهم مجلٍّ في تهيئة الجو الملائم لإقامة واستقرار الأوضاع الجديدة. وكان الفضل لرياض الصلح في إيجاد الصيغة التي اتفق عليها جميع الفرقاء والتي أوجدت ما يسمونه في لبنان: الميثاق الوطني، أي هذا التوافق والاتفاق بأن يَعدُل هذا الفريق عن المطالبة بالوحدة السورية ويقبل بكيان لبنان وباستقلاله «عن الشرق (أي عن الداخل) وعن الغرب». وأن يعدل الفريق الآخر عن الحماية الأجنبية ويقبل بالاستقلال الناجز وبالسيادة التامة دون معاهدة أو حماية، «وبوجه لبنان العربي» (أي، في الواقع، بعروبة لبنان)..

وكان من المتفق عليه ألا يرتبط لبنان بمعاهدة وألا يكون فيه امتياز لدولة بالنسبة لدولة أخرى، وأن تكون سياسته الخارجية عربية تحرُّرية وأن تنتهج الحياد السياسي..

كما وأنه جرى اتفاق ضمني على توزيع بعض الوظائف الكبرى في الدولة على بعض الطوائف صوناً لروح التفاهم العام..

الميثاق الوطني هو كل هذا.. وقد حرص العهد الاستقلالي الأول على تنفيذه، خاصة يوم كان التوافق والتعاون على أتمّه بين رجل المسيحيين القوي آنذاك بشارة الخوري ورجل المسلمين القوي رياض الصلح.. وللشخصية أهمية أساسية أولى في لبنان، بلد الفردية الجامحة..

على أن الميثاق الوطني مرحلة تمهيدية «وسطية» بين وضعين، ولا يجوز التوقف عندها دون اجتيازها إلى تأسيس الدولة والوطن والأمة.. وإلا انقلب السحر على الساحر. ولا ترتضي الشعوب إلا بما تؤمن به، ولا تؤمن إلا بقيم وأهداف واضحة جلية.. ولا يبنى إيمان ولا تقوم إرادة ارتباط بالأرض وبالتاريخ ولا يؤسس وطن على التسوية فقط دون تجاوزها إلى ما يشكّل تجسيداً أقوى وأوضح وأعمق لقيم الإنسان والمجتمع والحياة..

وكانت هذه هي ناحية الضعف في السياسة «النصفية» التي اتبعها فيما بعد بشارة الخوري ورياض الصلح في «تدبير وترتيب الأمور» على حد اللغة الدارجة

آنذاك.. وهذه النصفية في معالجة أخطر قضايا المجتمع والوطن إطلاقاً أوقفت المجال أو السعي الطبيعي لتطور فكرة الوطن والدولة في لبنان، وكانت سبباً فيما بعد للثورة اللبنانية، كما سنوضح ذلك..

وكانت سياسة بشارة الخوري ورياض الصلح، من هذه الوجهة، قصيرة النظر تعوزها الجرأة الخالقة للأمة وللتاريخ في لفتة من قدر التطور السانح.. كان يتوجب طبعاً إلقاء شيء من فتات مائدة الدولة لمستغلّي الطائفيات، وأن يكون للشيطان حصته في كل هذا. على أنه كان يجدر الالتفات إلى تكوين وطن لبناني متحرِّر من الطائفية ومن الأوضاع التأخرية، وفي تخطيط وتوجيه صارم وتعديل تدريجي للقوانين والدستور والأنظمة.. وإلى الذين يدّعون بأن الأكثرية لم تكن توافق على مثل هذا التحوُّل التقدُّمي للدولة اللبنانية، يسهل الجواب: بأن الأقلية الوطنية الواعية هي وحدها التي تستطيع تطوير مفاهيم الأمة ودمغ المجتمع بطابع الحياة والتقدُّم والإيمان والقوّة، ولا قيمة للأكثرية في وجه هذه الخميرة الفاعلة.. ثم إن المتذرع بمثل هذه الأعذار، يجهل أو يتجاهل ما للقوة المعنوية (قوة التوجيه والإيمان بأهداف مثالية وواقعية واضحة) وما للقوة المادية (قوة السلطة الإكراهية) مجتمعتين من تأثير في صهر الجماعة وإنشائها وتحريكها وقولبتها». فهذه القوة «في معناها المزدوج» هي «القاطرة» التي تدفع بالنضال الشعبي وبروحيته فوق مستواه العادي المتعثر، وتدفع بالشعوب وبالتاريخ أجيالاً إلى الأمام.. ثم إن المشاكل السياسية والاجتماعية التي يتغاضى رجل الدولة عن حلها في الوقت المناسب تتعاظم مع الزمن وتتعقّد وتصبح مصدراً لسواها من المشكلات...».

* * *

ملحق رقم 6

خطاب الرئيس كمال جنبلاط بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة لنكبة فلسطين[1]

«حضرات الإخوان،

مضى إثنتا عشرة سنة على يوم النكبة بفقدان العرب لأرض فلسطين وعلى إقامة دولة الاغتصاب وتركيز القومية الدينية الصهيونية على شواطئنا وإنشاء هذا الحائط الحاجز أو هذا الكيان الإسفين بين شطرَي العالم العربي - القسم الغربي والقسم الشرقي - وعلى بناء رقبة جسر الاستعمار وقاعدة النفوذ الأجنبي التي تشكّلها إسرائيل.

وهذه السنوات الطويلة من النضال السياسي ومن الدفاع عن النفس في وجه شتى ألوان الصعوبات والعقبات والمؤامرات والتذكر المستمر ليوم النكبة وللعيش الذي يعانيه مليون من إخواننا في البؤس والتشريد والحرمان ومحاولات الدول الاستعمارية للتغلغل من خلال هذه القاعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية التي تتشخص برقبة الجسر هذه؛ هذه المحاولات التي بلغت حدتها في المؤامرات على تجزئة سوريا وثم في الحرب العدوانية على مصر وفي تجربة إثارة الفتنة

(1) جريدة الأنباء، 20 أيار 1961.

الطائفية والفُرقة الشعبية في لبنان إلى ما سوى ذلك من الأعمال المستهجَنة؛ كل ذلك واجهه الشعب العربي في جميع أقطاره بوعي مدهش وعزيمة لا تلين وتصميم لا يقبل المسايرة والمساومة وبتخطيط بدأ يتوضح مع الزمن. ولم تكن المقاطعة الاقتصادية إلا ركيزة أولى وبداية تنفيذ لما يطمح إليه قادة العرب المدركين لمسؤولياتهم من ضرورة معالجة الأوضاع بروح العلم والجرأة المعنوية والانتظام والتنظيم.

وكانت الثورات السياسية والاجتماعية التي خضّت البلاد العربية فيما عدا القليل منها الذي بدأت موجة التنبّه والقلق تجتاحها، كانت الثورات والانقلابات السياسية والاجتماعية أقوى مظاهر تحقق هذا الوعي في جميع حقول النشاط البشري حتى أضحى للعرب شأنهم في سياسة آسيا وسياسة العالم. هذا فيما عدا ما يملكونه من طاقات لو حاولوا استثمارها - تنجم عن مركزهم الاستراتيجي المميز على مفصلة ثلاث قارات، ووضعهم البترولي الذي يبلغ ثلثي احتياطي بترول العالم بأسره...

وكان لا بد لهذه الخضّات السياسية والعسكرية أن تتحول في مطلبها وأهدافها ونهجها إلى حركات ثورية اجتماعية - ولن يفلت لبنان ذاته من مخلبها - وكان إن برزت الاشتراكية إلى الميدان وثم تمخّضت عن نظام للوحدة بين فريقين عزيزين شقيقين وعن تحقيق نظام تعاوني، اشتراكية للملكية ولوسائل الإنتاج وللتوجيه والتصميم والمبادرة في الجمهورية العربية القوية الفتية... وقامت بتجربات اجتماعية أخرى في مغرب العالم العربي وشرقه تبعث على الأمل والتجدُّد والانطلاق ولو على نطاق أخف...

ثورة الجزائر

وثورة الجزائر المباركة ذاتها ستولّد نظاماً اشتراكياً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، فتؤسس القوة والمِنْعة من مصادر الشعب ذاته ومن ميّزات أرضه وثورة معادنه وتاريخه. ومن هذا المعدن الذي لا يُقدَّر له ثمن ولا يُباع في الأسواق ألا وهو العمل التعاوني الجامع لقدرة حياة الكادحين ومعجزاتهم في

البناء والإنشاء والخلق يوم تعجز العجائب عن ذلك..

ثورة الجزائر هذه - فلسطين المغرب - التي ذهب ضحيتها مليون من إخواننا المجاهدين الأبطال والتي كانت رسالة الفداء لشعوب القرن العشرين بأسرهم وأسطورة العرب في منقلب التاريخ.

وفي اجتماع لنا سابق منذ سنوات عديدة وفي الملعب البلدي إن كنتم تتذكرون، طالما أشرنا إلى ضرورة مواجهة الواقع بالواقع والأنظمة الاشتراكية بأنظمة مماثلة والتنظيم بالتنظيم والتوجيه بالتوجيه والتصميم المنهجي بالتصميم المنهجي المقابل والقوة العسكرية بالقوة العسكرية.

وتذكرون ولا شك قولنا آنذاك أنه لا يمكن مواجهة الإرث الميكانيكي بالمحراث التوراتي أو البابلي، ونظام التعاونيات الزراعية الاشتراكية بالمجتمع القبلي والإقطاعي القديم، والدولة والإدارة الحديثة بالطائفية السياسية المتغلغلة في الدساتير والقوانين والنفوس إلخ.. وإن علينا أن نبني قوتنا من تحت، أي في مستوى الشعوب وتعبئتها وتنظيمها وتنميتها اقتصادياً وعلمياً وثقافياً وتعاونياً، وتعويدها على حياة المساواة والحرية..

فطريق الخلاص هي طريق العروبة الحقيقية والاشتراكية.

تجربة الوحدة

وبرزت إثر ذلك تجربة الجمهورية العربية ووقفت في مواجهة الأحداث وتركّزت وصمدت واستقطبت الشعور العربي العام لأنها كانت ثورة اجتماعية اشتراكية.. وهذه أهمية الرجل القائد الكبير الذي، أعني الذي جاء على غرار صلاح الدين، لا ليدثر بالقوة الحربية والمعنوية فحسب فيوقظ الشعوب من سباتها، بل ليبني الأنظمة الحديثة الاقتصادية والاجتماعية التي تنبثق من روح العصر وتقضي على استغلال الرأسمالية الفردية البشع وعلى تفكيك المجتمع وتناقض الفئات الاجتماعية ومصالحها والصالح العام.

أما الحدث الثاني الذي سيكون له أثره في تقرير مصير عروبة فلسطين وتدشين طريق العودة، فهو معرفة إفادتنا

في حقل الأمم المتحدة وخارجها من هذا العدد الضخم المتزايد للشعوب الأفريقية التي بدأت تتحرر من الاستعمار السياسي والاقتصادي وتدخل ردهة أسرة الدول المستقلة...

فكما أنه كان لآسيا وبعض عظماء قادتها شأن كبير في تقرير سياسة الحياد وتكوين مفاهيمه وإعادة الاعتبار لهذه الشعوب المغلوبة على أمرها أجيالاً وأجيالاً، وفي توطيد معالم السلم وتنمية اتجاهاته والحؤول دون تصارع الصغار والكبار على السيطرة العالمية، كذلك سيكون لشعوب أفريقيا المستقلة ودولها كلمة فاصلة إلى جانب الآسيويين وبعض دول أميركا اللاتينية في تقرير القضايا الكبرى العالمية وفي طليعتها قضية فلسطين...

إسرائيل تحاول غزو أفريقيا

وقد أدرك ذلك الصهيوني - في حدسه التاريخ البغي - فأخذوا يتوجهون بجميع مكناتهم إلى القارة السوداء النشيطة ويباشرون ما حاوله جدهم سليمان بن داوود في رحلة أنصاره إلى مجاهل أفريقيا لاستجلاب مختلف كنوز الأخشاب والجواهر والتوابل والباخور على ما يتحدثون..

وقد تنبه قادة العرب للخطر المحدق ولهذه الإمبراطورية الاقتصادية التي يحاول اليهود من خلالها أن يبسطوا نفوذهم السياسي والاقتصادي والتقني على القارة البكر البادئة بالنهضة والتطوُّر في أسفل سلم هذا التقدُّم، محاولين التخلُّص مما يضيرهم من مقاطعة اقتصادية قاسية... فأخذت المؤتمرات تعقد في حضن الجامعة العربية أحياناً وفي مستوى قادة الشعوب الأفريقيين مراراً أخرى، ويُدرس تخطيط عملي للحؤول دون تسرب الأخطبوط إلى أفريقيا بعد أن قطعت الفاشستية والشيوعية جذوره من أوروبا في معظم البلدان.

فعلى قدر ما نعير قضية الأفريقيين اهتمامنا ونشاطنا ودعايتنا وعلمنا وأموالنا، نتمكن من كسب العدد الكافي من الدول الذي يجعل كفة الميزان ترجح في الأمم المتحدة لصالح العرب في قضية فلسطين، أي لصالح العدل

والمساواة في المعاملة على الأقل.. ومثل هذه القضية يجب أن لا نبخل عليها بجهد ولا برجال ولا بمال، وأن تعالج في الجامعة العربية وخارجها بشكل تضامني تعاوني متفهّم يشكّل الركيزة الثانية في طريق العودة والنصر...

أما المشكلة الثالثة التي يجب أن نعرضها ونصارح بها: فهي قضية انتصار فكرة الحياد والسلم في العالم... فالنهج الدولي يحتّم علينا، لأجل التغلب والانتصار، أن تتبنى جميع الدول والشعوب العربية نهج الحياد السياسي والتعاون الإيجابي مع جميع الدول الكبرى على قدم الكرامة والمساواة... فهذا الموقف تمليه علينا مصلحتنا السياسية العامة قبل أن تشير به عزّتنا وكرامتنا وضرورة استعادتها بعد عصور من التميز والمعاملة المسخرة.

سياسة الحياد!!

والحياد لا يكون حيادان ولا نصفان، بل حياد واحد، هو حياد هذا الشطر الضخم الزاخر بإمكاناته البشرية والاقتصادية والمعنوية والذي يؤلف ثلثي العالم... لا يمكن أن يكون للبنان ولغيره من الشعوب العربية حياد مختلف عن مفاهيم هذا التيار الإنساني المتقدم الرامي إلى تحقيق القوة المعنوية الثالثة...

فعلى قدر ما نتمسك بمفاهيم الحياد الصحيح والشامل نستطيع أن نتخلص من عدم اكتراث الغرب ونكسب احترامه وتقديره وخشيته بأن يخسرنا جميعنا ويفقد موارد نفطه واقتصاده وازدهاره على الأقل... فالشعوب المنتجة والمستهلكة على السواء لها قوة سياسية ومعنوية أساسية في التصرف الدولي العام... وهكذا نستطيع أن نفرض رأينا في قضية إسرائيل...

ولن أنهي كلامي دون التنبيه على أن أحدث المعلومات تدلّنا أن علينا أن نتنبه إلى المستقبل القريب وما يخبؤه لنا من مؤامرات يحيكها الاستعمار لإنهاء قضية فلسطين وفرض الصلح على العرب وذلك بواسطة محاولة بعث الفتنة في بعض الدول العربية وخاصة في لبنان وتجزئة هذا البلد والعودة إلى مشروع

الهلال الخصيب ولبنان الصغير.. ودولة وعد بلفور تعمل بنشاط وحذر وسرية كاملة لتنفيذ هذا المشروع ودفع إسرائيل لاحتلال الجزء الجنوبي المفصول، ثم تجميد مقاومة بعض الدول العربية ودفع الجمهورية العربية إلى الحرب أو القبول بالأمر الواقع... ودوائر الاستخبارات التي لم يقطع أحد بعد دابر نشاطها وصلاتها في هذا البلد تتهيأ اليوم إلى هذه التجربة الفاشلة الجديدة.

مضخ الدسيسة

فعلينا شعباً ودولة أن نتيقظ للأمر وأن نفضح الدسيسة وأن نعلنها في كل مناسبة لكي تتحطم على صخرة الوطنية الراسخة، على صخرة الأحرار، على قبور شهداء فلسطين العربية هذه المساعي المجرمة لطمس معالم جريمة تمزيق الأرض المقدسة والعودة بالعرب إلى الوراء...

الرجل المناضل

وفي الختام نتوجّه بالشكر للجنة فلسطين ولرئيسها المناضل والإنساني الكبير رفيقنا الدكتور بشاره الدهان - رفيق الثورة والسلم في آن واحد ومتطوع في كل انتفاضة شعبية وكل عمل إنساني، نتوجه إليهم بالشكر لما قاموا من جهود لأجل إحلال روح اليقظة وإنماء الوعي في صفوف إخواننا العرب إلى أي بلاد انتسبوا، وتركيز القوى الشعبية التي تسير بقضية فلسطين نحو الظفر إن شاء الله... ويتم نوره على يدي ولو كره المشركون!».

* * *

ملحق رقم 7

توصيات الحزب التقدُّمي الاشتراكي للعالم العربي بعد حرب 1973[1]

(مقتطفات من بيان الحزب حول معركة العرب المصيرية المستمرة)

«... وعلى ضوء ما تقدم من استشرافات وتحليلات للوضع العربي وأبعاده الراهنة، يهم مجلس قيادة الحزب التقدُّمي الاشتراكي أن يؤكد أن المستقبل سيكون قبل انتهاء القرن العشرين للعرب في وطنهم القاري المتحرِّر، وأن عليهم منذ الآن الاستعداد لصنع ومواجهة هذا المستقبل بالتشديد على انتهاج سياسة طويلة المدى، قوامها المبادئ التالية:

أولاً - ليس للعرب خيار آخر سوى التبني الكامل لسياسة تضامن عربي شامل، توحِّد صفوفهم، وتعزِّز مركزهم بين الشعوب وتكفل لهم قوة معنوية ضاربة، وتشدّ أزرهم أمام الأصدقاء وترهِب أعداءهم وحلفاء أعدائهم. ويكون الهدف الأخير لهذه السياسة التضامنية بلوغ العرب درجة الاتحاد القصوى، بحيث تصبح لهم دولة واحدة لامركزية، فدرالية ديمقراطية وعلمانية.

(1) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 475 - 477.

ثانياً – لا بد للبلدان العربية المنتجة للنفط من الاستمرار في صمودها النفطي الراهن، والمضي به إلى أن يرقى إلى مصافي الثورة النفطية المنشودة في إتمامها للمعركة العربية العسكرية والسياسية، والمتميزة بتصعيد التدابير إلى أن تبلغ حد تأميم حصة الولايات المتحدة من النفط العربي، والإقدام على تأميم حصة كل دولة تقف بشكل أو بآخر إلى جانب المعتدين الإسرائيليين.

ثالثاً – إتماماً للثورة النفطية المنشودة في خدمة المعركة العربية المصيرية الواحدة، لا بد من إقدام العرب على سحب أرصدتهم من المصارف الغربية التي تعتمد دولها سياسة معادية لمصالحنا وقضايانا، وعلى تحويل هذه الأرصدة إلى الذهب أو إلى عملات أخرى غير الدولار. فهذه خطوة أساسية لا بد من استكمالها بخطوة أخرى تهدف إلى استخدام هذه الأرصدة العربية في كافة ميادين التنمية العربية، لاسيما في ميدان الصناعة الحديثة، وبالأخص صناعة الأسلحة المتطورة. ويكون هذا التثمير للأرصدة العربية فعالاً إذا ما أصبحت السوق العربية شاملة لمجمل الأقطار العربية، وباتت سوقاً فعلية، تلعب دورها الصحيح كأداة لتوحيد الاقتصاد العربي وتنميته معاً.

رابعاً – على العرب، حكّاماً ومواطنين، أن يلتزموا سياسة فعّالة مباشرة ترمي إلى المقاطعة الاقتصادية التامة للولايات المتحدة الأميركية وللدول المؤيدة لإسرائيل، وذلك بجعل أعداء العرب يدفعون من مصالحهم ومن اقتصادياتهم ثمن كل موقف سياسي أو عسكري يقفونه إلى جانب العدو الإسرائيلي. ومن هذه الزاوية لا بد من وضع سياسة مقاطعة عربية شاملة للمصالح الأميركية في الوطن العربي، وللمنتوجات الأميركية جملة وتفصيلاً. يضاف إلى ذلك ضرورة تصفية القواعد الأميركية المتبقية في المغرب والمملكة العربية السعودية، وكذلك تصفية كل مظاهر الوجود العسكري الأطلسي في دول الخليج العربي وسواها.

خامساً ـ إن من موجبات الاستمرار في معركة العرب المصيرية، الحفاظ الدائب على صداقة الشعوب للعرب،

ومنها شعوب البلدان الاشتراكية والدول غير المنحازة ومنظمة الوحدة الأفريقية وشعوب العالم الإسلامي. وإذا كان من واجب العرب الاستمرار في التعاون القائم مع المعسكر الاشتراكي، فمن واجبهم أيضاً تصعيد هذا التعاون وتوحيده على أسس المصالح المتبادلة والمُثُل الإنسانية والتحرُّرية المشتركة. كما ينبغي على العرب أن يقيموا مجدّداً موقعهم المتميز كقوة كبرى بين بلدان العالم الثالث، وأن يعملوا على توحيد صفوفهم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً، وبكلمة على توحيد وجودهم القومي المتكامل، لكي يلعبوا دورهم القيادي على مستوى العالم الثالث، ويحتلّوا مكانتهم الطبيعية المرموقة في ميزان القوى العالمية.

سادساً – لا يجوز للعرب، أياً كانت المبررات والموجبات ومهما تفاقمت الصعوبات والشدائد، أن يذعنوا لإرادة المعتدين الصهاينة والأميركيين المغامرين. وإنما عليهم الآن، ومن أجل مستقبلهم التحرُّري القومي المشترك، أن ينبذوا كافة العروض التي تنال من وجودهم القومي، وأن لا يلهثوا وراء تسويات سهلة المنال في الظروف الحاضرة. إن العرب اليوم، وقد كسروا بالسلاح هيبة المعتدين الصهاينة، والمغامرين الأميركيين، عليهم أن يكونوا جدليين، إذ كل شيء دائم التغيُّر والتبدُّل في الحياة السياسية والحروب. ومن هنا فإن المسؤولية العربية الكبرى تقوم على التحسّب والإعداد لخوض حرب استنزاف طويلة الأمد، ولو حتى نهاية القرن العشرين، يقيناً منهم بعدالة قضيتهم، وإدراكاً لمسؤوليتهم القومية والتاريخية في ضرورة عودة الشعب الفلسطيني إلى وطنه. فبذلك وحده يكون للعرب انتصار على أنفسهم المترددة حيناً، وعلى أعدائهم المغامرين بكل حقوق الشعوب الأخرى. بذلك أيضاً يخرج العرب منتصرين على ارتهاناتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقومية. ولذا، فليس لأي عربي أن ينسى أن المستقبل سيكون لشعبه ووطنه وأمته. ومن هنا نعتبر لزاماً على أي جهة رسمية أن لا تخوض مع أحد بشأن التفاوض على قضية فلسطين والشعب العربي الفلسطيني المتمثّل بمنظمة التحرير

الفلسطينية، وأن يترك هذا الأمر المصيري للفلسطينيين وحدهم، فتظل قضيتهم قائمة، مفتوحة على المستقبل، مرتبطة كلياً بمصير التحرُّر العربي الأبعد والأشمل. فلا يجوز لأحد القبول بحل غير عادل لقضية من أعدل قضايا شعوب الأرض. فالحل العادل في النهاية هو الذي يحوّل الدولة القائمة حالياً في فلسطين من دولة عنصرية صهيونية إلى دولة علمانية ديمقراطية يتعايش فيها الجميع بتساوٍ وسلام.

بيروت في 30/ 10/ 1973

مجلس قيادة الحزب التقدُّمي الاشتراكي

أمانة السر العامة».

* * *

الفصل الثالث

كمال جنبلاط وجمال عبد الناصر

منذ عام 1952 وثورة الضباط الأحرار في مصر التي أنهت مرحلة الملكية فيها وأقامت نظاماً اشتراكياً ثورياً، بدأ يظهر على الساحة العربية اسم زعيم عربي سيكون له دور كبير في تفجير القومية العربية في كامل أجزاء الوطن العربي الكبير. هذا الزعيم هو جمال عبد الناصر.

أُعجب كمال جنبلاط بجمال عبد الناصر الذي رأى فيه البطل العربي الذي بإمكانه تحريك القومية العربية وتأليبها حوله وقيادة الثورة العربية الكبرى التي ما زال المعلّم الاشتراكي يؤمن بها منذ بداية نضاله السياسي. كتب خليل أحمد خليل(1):

«بعد غاندي، تمثّل كمال جنبلاط نموذجه الأمثل في جمال عبد الناصر، فهو عنده بطل تحرُّري وزعيم أو قائد عربي ثوري. خاطبه في أول آذار 1958 في دمشق، قائلاً: «لقد رأيناك منذ الساعة الأولى هكذا، وأيّدناك هكذا بطلاً تحرُّرياً في الداخل والخارج. سِر بشعور العرب في هذا المضمار ولا يُغريك طموحٌ ولا مجدٌ، فأنت فوق الطموح والمجد».

(1) خليل أحمد خليل، مرجع سابق، ص 144.

وكان كمال جنبلاط قد دعم منذ بداية الخمسينات نضال الشعب المصري في سبيل التحرُّر والتغيير. ففي عام 1951، وبعد انعقاد مؤتمر الأحزاب الاشتراكية في بيروت بدعوة من الحزب التقدُّمي الاشتراكي، أقدمت السلطات المصرية على اعتقال رئيس حزب مصر الاشتراكي، فاستنكر رئيس الحزب التقدُّمي الاشتراكي ذلك الاعتقال. وحيّى جهاد الاشتراكيين في القطر المصري مطالباً بإعادة الحرية إلى أحزاب مصر[1].

ومنذ ذلك التاريخ تابع كمال جنبلاط جهود الثوار في مصر التي أوصلت إلى ثورة الضباط الأحرار عام 1952 وإلى بروز الزعيم العربي الكبير جمال عبد الناصر على ساحة النضال العربي ضد الاستعمار والاستئثار الغربي بخيرات العالم العربي.

أولاً - بداية دعم عبد الناصر:

ففي شهر شباط 1955، وفي إطار نضال الحزب التقدُّمي الاشتراكي الداعم للقضايا العربية، وفي نداءٍ موجّهٍ إلى رؤساء الدول العربية وشعوبها الداعي إلى قيام جيش عربي مشترك لتحرير فلسطين، خصّ كمال جنبلاط الوضع في مصر باهتمام كبير منتقداً الحلف التركي - العراقي (حلف بغداد) الذي يهدف إلى ضرب ثورة عبد الناصر العربية. فقد جاء في النداء[2]:

«إن القضية الرئيسية بالنسبة للدول العربية في الوقت الحاضر هي الاستقلال، والاستقلال يعني عدم الانجرار في تيارات مختلفة لا تبغي سوى استنفاد قوانا ومواردنا. ومهما كان رأينا في عبد الناصر وحكومته، فيما يتعلق بنظام الحكم، فإن علينا أن نؤيد سياسته ما دامت هذه السياسة تتفق مع سياسة الاشتراكيين في مثل هذه السياسة الحياتية لبلادنا...

ونحن لا يهمنا من سياسة مصر ودوافعها بقدر ما نهتم لنتائجها، ونعتقد

(1) جريدة الأنباء، 27 تموز 1951.

(2) جريدة الأنباء، 4 شباط 1955.

أن الموقف المصري من مؤامرة نوري السعيد هو موقف سليم ولمصلحة جميع العرب.

إلا أننا نود أن نهمس في آذان جمال عبد الناصر ورفاقه بأنهم لن يستطيعوا أن يواصلوا مقاومة الضغط الغربي إلا إذا استندوا إلى قوة ثابتة تدعمهم في نضالهم، وهذه القوة لا يمكن أن تكون إلا التأييد الداخلي، أي التأييد الشعبي. وليضمنوا هذا التأييد عليهم أن يُفسحوا المجال أمام الشعب للتعبير عن رأيه.

وفي شهر تشرين الأول عام 1955، ولما رددت بعض الصحف اللبنانية مزاعم أن الحزب التقدُّمي الاشتراكي يطالب الدولة اللبنانية بالوقوف على الحياد فيما لو حصل اعتداء على مصر، أدلى الحزب عبر أمينه العام شاكر شيبان بتصريح جاء فيه[1]:

«إن الحزب التقدُّمي الاشتراكي ينفي هذه المزاعم... ويؤكد تضامنه الكامل مع شعب مصر في قضية القتال، ويعتبر أن أي اعتداء على أي شعب عربي هو اعتداء على لبنان».

كما أرسل الحزب بتاريخ السابع من تشرين الثاني برقية إلى سفير مصر في لبنان أكد فيها على العاطفة نحو «الدولة العربية الناهضة في مصر ونحو سيادة الفذ البكباشي جمال عبد الناصر، ونحو جيشها الباسل وقواده...»[2].

ويتساءل المراقب:

لماذا لم تصدر مواقف داعمة لعبد الناصر قبل عام 1955 من قبل رئيس الحزب التقدُّمي الاشتراكي؟

فبالفعل، لم يرد في جريدة الأنباء مقالات داعمة لنضال عبد الناصر قبل قرار التعاون والتحالف بين كمال جنبلاط وعبد الناصر في الأسبوع الثاني من حزيران 1955. وكان الرئيس جنبلاط يربط يومذاك نهضة العالم العربي بنهوض الأحزاب الاشتراكية فيه.

(1) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 217.

(2) المرجع نفسه.

وعندما تأكد للمعلّم كمال جنبلاط أن حركة الضباط الأحرار ليست حركة عسكرية إلا في الظاهر، وأن عبد الناصر ورفاقه يسيرون في طريق مقاطعة حركات الاستعمار ومشاريع الأحلاف الغربية ويعملون على نقل مصر نحو نوع من الاشتراكية الضامنة للعدالة الاجتماعية، بدأ دعم الزعيم المصري الكبير. علاوة على ذلك، فإن الصراع الذي دار حتى عام 1954 بين اللواء محمد نجيب وعبد الناصر ألقى بظلاله السوداء على حركة الدعم العربية للثورة المصرية. لذلك اعتبر يومذاك أن انتصار عبد الناصر على نجيب انتصار للاتحاد العسكري الراغب في احتكار القرار السياسي، الأمر الذي صبغ حركة عبد الناصر بصبغة رمادية (1952 - 1955) رافقتها عمليات قمع للأحزاب (حزب الوفد). كما طالت التشريعات القمعية في مصر حق الأساتذة والطلاب وموظفي الدولة في الانتساب إلى الأحزاب. كل ذلك ساهم في تأخُّر دعم كمال جنبلاط لعبد الناصر حتى عام 1955.

وقد بدأت علاقة الزعيمين باللقاء الأول الذي تم في منتصف حزيران عام 1955 حين كان عبد الناصر رئيساً للحكومة وقائداً لمجلس الثورة، وكان جنبلاط موفداً من الحكومة السورية بصفة رسمية ليعرض على المسؤولين المصريين مشروعاً للوحدة العسكرية بين البلدين[1].

يومذاك كتب الرئيس كمال جنبلاط مقالاً بعنوان «لمحة وجه في صُوَر» جاء فيه[2]:

«منذ أول لحظة عرفناه، توسمنا فيه الخير وأحببناه. عرفنا الرئيس جمال عبد الناصر لأول مرة، يوم كان رئيساً للحكومة الانقلابية وقائداً لجماعة الضباط الأحرار.. وكانت الحكومة السورية قد أوفدتنا إلى القاهرة، وكلّفتنا باسمها وباسم رئاسة أركان الجيش السوري الذي كان يتولاها اللواء الوطني الكبير شوكت شفتر، بأن نعرض على

(1) عفيف سراج، السفير، 16 آذار 1988.

(2) كمال جنبلاط، مختارات من أجل المستقبل، الدار التقدُّمية، المختارة، 1987، ص 153.

المسؤولين المصريين مشروعاً للوحدة العسكرية...»[1].

لقد قارن كمال جنبلاط بين عبد الناصر والقادة التاريخيين الذين أعجب بهم والذين اختارهم من حقبات تاريخية متنوّعة كرعمسيس الثاني الفاتح الفرعوني الكبير، والخليفة عمر بن الخطاب بطل الفتوحات الكبرى في العهد الراشدي للخلافة، والحاكم بأمر الله الفاطمي وريث الخلفاء الفاطميين الكبار، وصلاح الدين الأيوبي. فعبد الناصر هو رجل استثنائي في تاريخ العرب في القرن العشرين. لذلك ارتبط الرئيس كمال جنبلاط معه بصداقة متينة سنتتبّع مراحلها في الفقرات اللاحقة من هذا الفصل.

ثانياً - مظاهر الدعم الجنبلاطي لعبد الناصر:

في السابع من شهر تشرين الثاني عام 1955 أبرق كمال جنبلاط إلى جمال عبد الناصر معلناً موقفه «واعتزازه بموقف الجيش المصري الباسل في دفع التعدي الإسرائيلي المجرم، ويمجّد ذكرى شهداء معركة الصفحة الذين ضمخوا أرض الوطن بدمائهم الزكية...

ويحيّي الحزب قيادتكم الاستقلالية الجريئة ويتطلع بأمل متعاظِم وثقة كبيرة إلى نهجكم المتحرر الذي ينهض بمصر ويرفع مستوى نضال العرب ومعنوياتهم ومكانتهم في العالم...»[2].

وقد ردّ عبد الناصر ببرقية جوابية.

أ - بيان الحزب بشأن أزمة قناة السويس:

وبعد قيام عبد الناصر بتأميم قناة السويس وإعادتها إلى السياسة المصرية أبرق كمال جنبلاط له داعماً. ومما جاء في البرقية[3]:

«إعادة القناة إلى الشعب المصري نصر جديد لقضية السيادة الوطنية. التأميم مع التعهد بالتعويض وتأمين الملاحة

(1) انظر ملحق رقم 8: مقال للرئيس كمال جنبلاط بعنوان: «لمحة في صُوَر».

(2) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 217.

(3) جريدة الأنباء، 22 حزيران 1956.

عمل قانوني تسقط دونه حجج الباطل. نؤيدكم ونهنئكم. أخذ الله بيدكم - الإمضاء كمال جنبلاط».

كما وجه برقية ثانية في 3 آب 1956 جاء فيها[1]:

«إنني لا أخاف على جمال عبد الناصر من جمال عبد الناصر، ولا أخاف على مصر من جمال عبد الناصر، لأنه هو وجماعته يعرفون إلى حدٍّ كبير ماذا يعملون. ولكنني أخاف من الذين يصفقون «للبطل»، لكل بطل في الشرق المريض بانغلاق تعصبه وبمركب الضعف المستوطن في ثنايا نفسه. أخاف منهم وعليهم أن يحوّلوا هدف المعركة وروح المعركة إلى غير ما هي عليه...»[2].

ب - عدوان 1956 على مصر:

وإثر العدوان الثلاثي على مصر من قبل إسرائيل وفرنسا وبريطانيا، تحرّك العالم العربي منددًا ووجّه الرئيس كمال جنبلاط برقية تأييد إلى الرئيس جمال عبد الناصر جاء فيها[3]:

«في هذا الظرف العصيب الذي تواجهه مصر رئيساً وجيشاً وشعباً، وفي الوقت الذي بدأت به القوى الأجنبية عملية الإنزال بعد اعتداء أثيم قلّ مثيله، يهمنا باسمنا وباسم الحزب التقدُّمي الاشتراكي أن نؤكد لكم تضامننا مع نضالكم العظيم الذي تفتحت على أصدائه روح البطولة في الشرق. موقفكم التاريخي هو في كل الاحتمالات انتصار».

لقد رأى كمال جنبلاط أن الرئيس عبد الناصر كان، بتأميه قناة السويس، يقوم بردّة الفعل على سحب الولايات المتحدة عرضها بتمويل مشروع السد العالي في تموز عام 1956، الأمر الذي تبعتها فيه بريطانيا. لذلك كان عبد الناصر بموقع ردّة الفعل وليس الفعل. وهكذا وضع المعلّم كمال جنبلاط المواجهة مع

(1) جريدة الأنباء، 3 آب 1956.

(2) انظر ملحق رقم 9: بيان الحزب التقدُّمي الاشتراكي حول أزمة قناة السويس.

(3) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 227.

فرنسا وبريطانيا في إطار الصراع التاريخي بين العرب المسلمين والغرب، ثم بين السلطنة العثمانية والغرب، كما ردّه إلى ما قبل الإسلام ذاته. فالرئيس جنبلاط، وفي قراءته الحية للتاريخ، ربط الجغرافيا بالتاريخ والسياسة بالاقتصاد والثقافة. لذلك دعا ممثلي الدول العربية إلى الاجتماع لتقرير الردّ بسرعة وتقديم مساعدة إيجابية لمصر.

علاوة على هذا التأييد، أبلغ كمال جنبلاط سفير مصر في بيروت عن رغبة الكثيرين من «الرفاق والإخوان في التطوع لأجل نصرة البلد العربي الشقيق». كما وقع في العاشر من آب، باسم الحزب التقدُّمي الاشتراكي، بيان مؤتمر الأحزاب والهيئات الوطنية الذي تضمن دعوة إلى جميع الأقطار العربية لاتخاذ التدابير اللازمة لصد العدوان على مصر واتخاذ موقف موحَّد حيال الأزمة[1].

ج - الوحدة المصرية - السورية:

يوم السبت في أول شباط عام 1958 وقع حدث توحيدي مهم جداً في العالم العربي الشرقي حين وقّع الرئيسان جمال عبد الناصر وشكري القوتلي ميثاق توحيد بين القطرَيْن المصري والسوري تحت ضغط ومطالب لجوجة من قيادة الجيش السوري ومن فعاليات سورية أبرزها حزب البعث العربي الاشتراكي.

هذا الحدث البارز أثار إعجاب رئيس الحزب التقدُّمي الاشتراكي الذي عاد بتفكيره إلى زمن التوحيد الإسلامي العربي لمصر ولبلاد الشام منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب إلى معاوية بن أبي سفيان وصولاً إلى الخلافة الفاطمية وبعدها إلى نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي والمماليك. لقد رأى كمال جنبلاط أن العمق الأمني والمدى الحيوي لجهد الرئيس عبد الناصر لا يمكن أن يتأمن إلا بعملية التوحيد هذه التي تحمّس لها المعلِّم ووضعها في سياقها التاريخي الرابط بين مصر وبلاد الشام. لذلك رأى مجدَّداً في عبد الناصر تجسيد لصلاح الدين الأيوبي وللظاهر بيبرس المملوكي وللحاكم بأمر الله

(1) تيموفييف، مرجع سابق، ص 254.

الفاطمي. وهكذا أعلن كمال جنبلاط بدء المسيرة الثانية نحو تحقيق الوحدة القومية العربية في التاريخ الحديث آملاً في انضمام العراق والأردن إليها. لذلك، دأب الرئيس كمال جنبلاط على المطالبة بالوحدة العربية التي لم يهملها أبداً إذ أنه، وفي الرابع والعشرين من شباط عام 1961، عاد وبعث ببرقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة عيد الوحدة ركّز فيها على ضرورة لمّ الشمل العربي[1].

رغم الحماس للوحدة المصرية - السورية، فقد وجهت ضربة عنيفة إليها من خلال الثورة المضادة التي نجحت في الثامن والعشرين من أيلول عام 1961 في فرض الانفصال بين الدولتين الشقيقتين بعد ثلاث سنوات وسبعة أشهر على قيام الوحدة وسط مرارة شعر بها المعلّم كمال جنبلاط.

لقد شعر جنبلاط أن فرصة تاريخية عزيزة على الأمة العربية قد ضاعت بمسعى من حكومة مأمون الكزبري، وأن قطار الوحدة العربية قد توقف عن المسير، فكتب بألم[2]:

«أنقذوا الجمهورية العربية المتحدة»

كما طلب من العرب رعاية الوديعة المقدّسة محذّراً من «لعنة الأجيال والتاريخ» ومن «شماتة الاستعمار وإسرائيل».

علاوة على ذلك، أصدر الحزب التقدُّمي الاشتراكي بياناً ضد الحركة الانفصالية رأى فيها تقويض لقاعدة انطلاق الفكرة العربية والاشتراكية التي تمثلها الجمهورية العربية، مؤيّداً الرئيس جمال عبد الناصر ومظهراً قلقه أمام المصير المرتقَب والمجهول للتضامن العربي[3].

لم ينكر الرئيس كمال جنبلاط وجود أخطاء في التجربة الوحدوية الأولى، أبرزها انفراد عبد الناصر بالسلطة. إلا أنه

(1) انظر ملحق رقم 10: برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة عيد الوحدة.

(2) جريدة الأنباء، 30 أيلول 1961.

(3) جريدة الأنباء، تشرين الأول 1961 - انظر ملحق رقم 11.

برّر هذا الخطأ بأن عبد الناصر هو رجل يمثل الإرادة التاريخية، مناشداً السياسيين السوريين للعودة إلى الوحدة.

د - نكسة 5 حزيران 1967:

في أيار عام 1967 طلب عبد الناصر سحب القوات الدولية من سيناء وأغلق مضائق تيران وخليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية. جاء ذلك بعد سلسلة من الأحداث العسكرية بين إسرائيل والعرب خاصة على الجبهة السورية. هذه الظاهرة أكدت حتمية حصول مواجهة عسكرية عامة بين العرب وإسرائيل.

وفي إطار المواجهة العامة أرسل كمال جنبلاط برقية يحيّي فيها خطوة الرئيس المصري معرباً عن تقديره وحزبه لقيادته ووقوفه إلى جانبه في المعركة المحقّة. كما أصدر الحزب التقدُّمي الاشتراكي أمراً إلى أنصاره في الخامس والعشرين من أيار جاء فيه[1]:

«نطلب إليكم أن تكونوا على أهبة الاستعداد لتلقي التعليمات من الحزب بشأن التطوُّع والتجنيد لكي تكونوا مع كافة المسؤولين في الحزب والمناصرين، طليعة القوى الشعبية المناضلة التي ستقف إلى جانب الجيش في معركة الشرف والكرامة واستعادة الحق السليب في فلسطين المحتلة».

كما طالب الحزب الدولة اللبنانية بتحقيق الأمور الآتية[2]:

1 - الشروع بالتجنيد الإلزامي.

2 - تحقيق التعبئة الشعبية.

3 - تنفيذ مقررات مقاطعة إسرائيل.

4 - مكافحة استغلال التجار للوضع.

5 - إقفال الموانئ في وجه أساطيل الدول المتعاونة مع إسرائيل.

6 - تسليح جميع المواطنين وتحصين القرى الجنوبية.

7 - تأمين حرية تحرك الفدائيين.

(1) جريدة الأنباء، 27 أيار 1967.

(2) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 357 - 358.

8 - اتخاذ مواقف خارجية ضد الدول الأجنبية الداعمة لإسرائيل.

وفي الأول من حزيران أذاع المعلِّم كمال جنبلاط بياناً خطيراً حول التحضير للحرب المقبلة وتوحيد جميع الجهود في سبيلها.

إنما، ومع وقوع النكسة في 5 حزيران وهزيمة الجيوش العربية، كتب المعلِّم كمال جنبلاط بألم مقالة افتتاحية في الأنباء جاءت كأول ردة فعل على الكارثة وعكست أمزجة الرأي العام العربي في تلك الأيام، إنما مع تفاؤل مستقبلي للفيلسوف الواعي إذ كان عنوان المقال[1]:

«خسرنا معركة، ولكنها انطلاق لنصر مقبل».

وجاء في المقال أنه لم يكن بالإمكان عدم خسارة المعركة لأن الولايات المتحدة «أمدّت إسرائيل بالعتاد، بينما السوفيات لم تكن مساعدتهم بالمستوى المطلوب». كما جاء أيضاً: «إننا أكثر ثقة وإيماناً بعبد الناصر، وأكثر اطمئناناً لقيادته وتصرّفاته ورجولته وكفاءته وإنسانيته. إننا على تفاؤل كامل بمصر الكفاح الأخير».

كتب تيموثييف عن موقف جنبلاط بعد النكسة[2]:

«أكد (كمال جنبلاط) أن المعركة الجديدة مع إسرائيل مقبلة في القريب العاجل، وأن العرب سيحرزون فيها دون ريب نصراً حاسماً بقدراتهم الهائلة وموقعهم الجغرافي الأفضل استراتيجياً وسلاحهم الجبّار المتمثّل في الوحدة والتضامن».

كما كتب خليل أحمد خليل عن موقف كمال جنبلاط أيضاً ما يأتي[3]:

«بعد حرب 5 حزيران 1967 جدّد كمال جنبلاط يقينه التامّ في انتصار القضية العربية مهما طال الزمن أو قصر.

(1) جريدة الأنباء، 10 حزيران، 1967.

(2) تيموتييف، مرجع سابق، ص 325.

(3) خليل أحمد خليل، مرجع سابق، ص 167.

وكان موقفه اليقيني هذا مبنياً على أربعة أركان كبرى:

1 - استئناف الكفاح العربي ضد الإمبريالية.

2 - الطاقات والمكنات العربية الهائلة.

3 - تضامن العرب وتعاونهم.

4 - موقع العرب الجغرافي والاستراتيجي ومركزهم الشعبي والسياسي والحضاري الممتاز».

ثالثاً - وفاة جمال عبد الناصر:

كان شهر أيلول عام 1970 شهر أسود إذ ترافق مع حدثَيْن سلبيَّيْن للعالم العربي:

- الأول الاشتباكات الدامية في الأردن التي تواجه خلالها الجيش الأردني مع المنظمات الفلسطينية.

- الثاني وفاة الزعيم العربي الكبير جمال عبد الناصر في الثامن والعشرين من أيلول.

وقد هزّ نبأ وفاة الرئيس عبد الناصر العالم العربي بأكمله، وجرت اضطرابات واسعة طوال أيام الحداد الثلاثة في لبنان.

إلا أن هذه الوفاة بالنسبة للمعلِّم كمال جنبلاط كانت فاجعة شخصية نظراً لإيمانه بأهمية الرجل الكبير وبدوره الرائد في العالم العربي وفي صراع الأمة العربية ضد إسرائيل. وكان كمال جنبلاط قد التقى عبد الناصر للمرة الأخيرة قبل ثلاثة أسابيع من وفاته أثناء زيارته للقاهرة بعد قبول مصر «مشروع روجرز» لوقف إطلاق النار تمهيداً للسلام[1].

لقد ادرك المعلِّم كمال جنبلاط أن وفاة الزعيم المصري الكبير ستخلق فراغاً في العالم العربي قد لا يكون من الممكن إملاؤه، الأمر الذي سينتج في العالم العربي عواقب وخيمة ليس بالإمكان تصوُّر أبعادها في الأيام الأولى الحزينة التي تبعث يوم الوفاة.

وتكريماً للراحل الكبير، أصدر الحزب التقدُّمي الاشتراكي عدداً خاصاً،

(1) تيموثييف، مرجع سابق، ص 356.

في جريدته «الأنباء»، وأقام مهرجانات وطنية واسعة في بيروت والمناطق وشارك في مهرجانات عامة أخرى ومسيرات شعبية في ذكرى الأربعين. كما انتخب كمال جنبلاط رئيساً للجنة تخليد عبد الناصر في لبنان.

أما المعلّم كمال جنبلاط فقد كتب مقالاً في الأنباء بعنوان «جمال عبد الناصر قطعة من تاريخنا وجزء من حياتنا ونسمة من مشاعر قلوبنا»[1].

كما كتب في ذكرى ميلاده مقالاً آخر بعنوان «في ذكرى ميلاد عبد الناصر - أمة لم تفهم مخلّصها»[2].

وفي شأن خلافة عبد الناصر كان كمال جنبلاط يؤيد أنور السادات الذي عرفه في الخمسينات وتعاون معه في إطار حركة التضامن الأفروآسيوية. وكان واثقاً من أن السادات سيواصل عن جدارة واستحقاق رسالة الرئيس الكبير الراحل، وأن مصر ستتابع مسيرتها النضالية الاشتراكية محافظة على وحدة الصف العربي تحت حكمه. وهذا ما حصل فعلاً.

وقد حفظ الشعب المصري للمعلّم كمال جنبلاط ذكرى جهاده القومي إلى جانب الرئيس جمال عبد الناصر، فشارك حزب الأحرار الاشتراكيين في مصر عبر ممثلة ألقت كلمة في ذكرى أربعين الشهيد كمال جنبلاط حيّته فيها باسم مصر عبد الناصر[3].

* * *

(1) انظر ملحق رقم 12: مقال الرئيس كمال جنبلاط حول جمال عبد الناصر.
(2) جريدة الأنباء، 18 كانون الثاني 1974 - ملحق رقم 13.
(3) انظر ملحق رقم 14: كلمة حزب الأحرار الاشتراكيين في مصر في ذكرى أربعين كمال جنبلاط.

ملحق رقم 8

مقال بعنوان «لمحة وجه في صُوَر»[1] بقلم كمال جنبلاط

«منذ أول لحظة عرفناه، توسمنا فيه الخير وأحببناه. عرفنا الرئيس جمال عبد الناصر لأول مرة، يوم كان رئيساً للحكومة الانقلابية وقائداً لجماعة الضباط الأحرار... وكانت الحكومة السورية قد أوفدتنا إلى القاهرة، وكلّفتنا باسمها وباسم رئاسة أركان الجيش السوري التي كان يتولاها اللواء الوطني الكبير الصديق شوكت شقير، بأن نعرض على المسؤولين المصريين مشروعاً للوحدة العسكرية.. وكان المشروع يتضمن على ما نذكر: توحيد القيادة، وإنشاء صندوق مشترك للإنشاءات العسكرية، وتنسيق الأسلحة والتدريب.. فاستقبلنا الرئيس المصري في غرفة بسيطة جداً ومتواضعة، في بيت صغير كان يلجأ إليه للتأمل والتفكير والراحة، يقع على ضفاف نهر النيل في القناطر الخيرية.. وكانت، في وسط الغرفة، طاولة مهيأة للاجتماع وللعمل ولتناول الطعام في آن واحد..

وأذكر أن أبرز ظواهر القائد الثوري الشاب آنذاك كانت هي الوداعة والبساطة والصراحة

(1) كمال جنبلاط، مختارات من أجل المستقبل، مرجع سابق، ص 153 - 160.

المقرونة بحدس استنتاجي لعواقب الأمور، وبداهة سريعة في الانتقال من الأسباب إلى النتائج وحس ارتقاب لردود الفعل والتجاوب عند الآخرين. وبعد نقاش دام أكثر من ثلاث ساعات، وبعد إدخال بعض التعديلات الإيضاحية، التفت الرئيس جمال إلينا وقال: «إننا نقبل بهذا المشروع، ولكنك سترى يا أخ كمال أنهم - أي الحكومة السورية آنذاك - هم الذين لن يقبلوا به ولن ينفذوه».. فاستغربت الأمر، ولكنني ما لبثت فيما بعد، يوم حملت الجواب المصري إلى اللواء شوكت شقير ووزير الخارجية خالد العظم، أن تأكدت من صحة حدس الرئيس جمال.. فقد حاول عبثاً رئيس الأركان السوري أن يجعل الحكومة السورية تنفذ الاقتراحات التي كانت هي قد تقدمت بها. ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل..

ولما استقبلني الرئيس مرة أخرى، قبل أن أغادر أرض الكنانة، لاحظت بأنه يستعرض بكلية قلبه وقبسات عقله أنظمة الإصلاح والتقدُّم والتنمية، ويسترشد المبادئ والأفكار التي يمكن أن تحقق ازدهار بلاده ورفع مستوى الشعب المصري في العدالة والأخوة والتضامن والمساواة مادياً ومعنوياً وقومياً... وكان لا يزال في مرحلة الاستقصاء والمقارنة بين مختلف الأنظمة الاجتماعية والسياسية، التي يصلح تطبيقها والأخذ بها. وكان يصارحنا بكل بساطة وبتواضع جم، وبمحبة تتألق في عينيه مع إشراقة العزم على وجهه، وتجلي الإرادة القوية في بروز ذقنه، وحلم المثالية في انحناء جبينه، وقدرته الظاهرة على العمل والصراع البادية في جسده المارد المتعضل قوة وعنفوانا، وهذه الشهامة والمروءة والسماحة الماثلة في بعض قسمات وجهه وأنفه، وهذه السمرة العربية التي تحلو بها ابتسامته ويزدان بها صمته، وقبل وفوق كل ذلك كان شعور عميق بالإنسانية يعمر قلبه وكيانه ويجري على لسانه... وكان يقول لنا بسذاجة: إنه لم يفكر أبداً فيما مضى أنه سيجد نفسه، هو ورفاقه، مضطراً بحكم اختلاف السياسيين التقليديين المصريين وتفاهتهم، إلى أن يمارس السلطة، وأن جلّ ما كانوا يهدفون إليه هو إنقاذ مصر من الطغيان والفساد في

عهود الملكية الأخيرة، ثم تسليم الدولة إلى أربابها من السياسيين المحترفين.

وأخذ الرئيس يستعرض أمامنا - وكأنه يناقش نفسه - بعض هذه المبادئ والأفكار الرئيسية التي بدأت تنجلي في مجالات استغراقه بالتأمل! وتحدثت لماماً عن الاختبار اليوغوسلافي، وعن مناهج حزب العمال البريطاني، وبعض التجربات الاشتراكية التي قامت في الهند وفي البلدان الشيوعية، وعن ميثاق حزبنا التقدُّمي الاشتراكي وعن ضرورة إشراك العامل المنتج بالفائدة العامة للإنتاج ذاتها. ويبدو لي أن الخطوط الرئيسية للمبادئ الأساسية التي تركّزت وقامت عليها فيما بعد التجربة الاشتراكية المصرية المبتكرة الطريقة، كانت ترتسم حلقاتها في نفسه آنذاك وفي ضوء دفء عيونه الحالمة وبما كان يغمره من إرادة الخدمة والتضحية..

وقال لي في مناسبة أخرى: «إن أضخم وأخطر عمل قمت به في نظري وبالنسبة إليّ، وهو أخطر من إنجازات الثورة ذاتها، هو: أنني تمكّنت أن أحول تماماً بين الجيش وبين ممارسته للسياسة..» وكانت دوامة الانقلابات العسكرية قد أضحت مصيبة بعض البلدان العربية.

وزرنا الرئيس عبد الناصر أيام الوحدة المصرية - السورية في دمشق، عاصمة الخلافة الأموية. وكنت أرى فيه وكأنه وريث لبعض كبار الفاطميين عبر التاريخ، فكان يفاتحنا بأمور كثيرة تدل على صوابية تقديره للأمور، ونكاد نقول استقرائه للمقبل علينا من الأحداث. وكان حماس الشعب العربي في كل مكان يرنو إليه في تطلعه إلى ذاته وأمله، وكأن الدنيا بأسرها أشرفت معنا على الموعد الكبير وعلى منحة القدر، وعلى منعة الزمان...

وكانت هذه العاطفية العميقة الجميلة تتسرب خلال خطبه وأقواله وتحياته ومبادراته. فالشباب الطلي الندي عرس تلك الأيام يرقص في مرابع فرحتها.. وما حسب أحدنا أن تقديم أيدي الظلام على فرط نظام العقد الجماني الذي تجلى فيه أمل العرب وطموح التاريخ روعة الالتقاء بين الجماعة في الأخوة والكفاح والمصير والبناء...

رأيناه مع اللواء شقير في كانون الثاني سنة 1967، وكانت علامات الجهد المتصل العنيف في حقل البناء الداخلي والنضال السياسي الخارجي وفي مقاومة الأعداء والمتخاذلين والمنكرين والشامتين والحاقدين على السواء، تحيط عينيه السوداوين بوهج زرقة سلالة أبناء النيل الجميلة. وكان في استعراضه للسنة المقبلة عليه صريحاً واضحاً يقول متنبئاً على عادته: «إن هذه السنة ستكون أخطر سنة على الجمهورية العربية المتحدة وعلى لسان العرب».. وحذرنا كثيراً من نتائجها، وكأنه كان يتوقع الهجوم الإسرائيلي على الأرض العربية وسط انقسام نهج حكام العرب وتناحرهم وتآمرهم أحياناً ومزايداتهم الجوفاء..

وبعد النكسة بقليل، ويوم حضرنا مؤتمر التضامن الأفريقي - الآسيوي، شاهدنا الرجل العملاق ذاته، بابتسامته وأنفته الصامتة التي لم تتبدل، وبتواضعه وأنسه العفوي الأخاذ وبهيبة الأسد الجريح في سيمائه.. ولكن الرضى والتسليم والعزم والأمل ورباطة الجأش كانت تغلب، وتتحول في انتقالها وظهورها بين إسرارة الوجه ونور العينين.. على أن المسحة الروحانية التي كان عليها في تنزل الإيمان في صدره وعقله، بدت بارزة واضحة متعاظمة في مظهر الرجل ومبادرته وتفكيره وفي حديثه.. وتحدثنا واقعاً وفعلاً عن أشياء روحانية... وكأنه قد تلبس في تلك الساعة عذاب الشعب العربي الناجم عن سوء التصرف وعن الأعمال الخاطئة الماضية وانحرافات الحكام وهدر الطاقات.. وكأن كل ذلك وقع وحصل وتجمّع في النكسة لأجل «تنقية نفوسنا وتطهيرها» على حد تعبيره آنذاك، ويقينه بالخروج من سيناء النكسة وعزلة المحنة إلى النصر والغلبة.. فالنار للحديد فولاذه، وقاع الأرض الضاغط الصاهر للفحم المستبطن جوهر ماسه.

* * *

وهذا الكتاب الفرنسي الذي عكف الأخ الصديق الدكتور سهيل إدريس على إصداره، هو من الآثار التي تعتمد في أسلوبها الوضعي، بعد النكسة بقليل، الانطلاق من أحداث معينة متسلسلة،

ومن أرقام وأعمال ومبادرات محددة، إلى إظهار شخصية الرئيس جمال عبد الناصر وحقيقة نهجه وأهدافه بأسلوب شيّق موجز علمي، وبالتعبير والتحليل والتتابع المنطقي التي يستسيغها القارئ الأوروبي والفرنسي بشكل خاص.. ولا بد من التنويه بجهد المؤلفين والمعرِّب والناشر على السواء في هذه الظروف بالذات التي يحتاج إليها العالم العربي إلى أمثال هذه الدعاية تنتشر في ربوع العالم الغربي - وفي ربوعنا أيضاً..

وتتوضح شخصية الرئيس عبد الناصر، كما أسلفنا، في هذا الكتاب في وجهها الإنساني الطبيعي البسيط البعيد عن كل تركيب وتعقيد وكأنها مرآة للصدق ينظر فيها المؤمن فيرى نفسه، أو كأنه صفحة نهر النيل في ليلة قمراء هادئة مستكنة لا تخدش سطحها الغافي بين سمائين مكوكبين - في أعماق الفضاء وفي أغوار المياه - إلا أمواج جعداء خفيفة كنسيمه.. ونرى أحياناً فيه النزعة المصرية الشرقية العاطفية التي تنهد في نكتة أو تشمخ في موقف للشهامة وللمروءة رفيع، أو تعتز وترعد من سوء الغدر ومن مقابلة الخيانة. وقد تدفعه هذه العاطفية المستعلية بتطلعات التضامن ومبادرات الشهامة إلى اتخاذ مواقف من الواجب قد لا يكون هو معد لها أو قابلاً بمواجهتها في الزمان والمكان المحدد وبالأسلوب الذي يقتضي، كما حدث أخيراً يوم استنهضت سوريا المهددة النخوة من أقوى عون وجار.

ويتوّج هذه الشخصية الشعور الذاتي بالمسؤولية النابعة من إيمان بإسلام حنيف منفتح، ومن مناقبية لنظام العقل تفرض نفسها على تصرفاته.. وتبرز في هذا الباب أكثر من مقابلة مع زعماء شرقيين آخرين، وفي طليعتهم الروح العظيم المهاتما غاندي.. فعبد الناصر هو أيضاً طالب حقيقة.. وليست روح عدم الإيذاء Non-Violence في النية وفي القصد وفي إرادة التصرُّف وتوجُّه العاطفة - على حد تعبير المؤلفين - هي وحدها التي تربط وتقارب بين الرجلين. وصاحبنا لا يكاد يقوم بأي عمل أخير أو يبادر بأي عنف أو تهديد بالعنف قبل أن يستنفد جميع وسائل السلام والإقناع والتسوية.. بل هناك شيء جامع أعمق من

ذلك المظهر للشجاعة المعنوية، المتجسِّدة برغبة عدم الإيذاء أصلاً، والتي هي إرادة الخير، وهي التسمية الحقيقية لكلمة Ahisma ، هذا العامل الجامع هو مظهر من مظاهر بعض كبار القادة الشرقيين في التاريخ القديم والحديث، وهو الانتساب إلى شرعة عقلية وسنة ضميرية توحي بأعمالنا وتصوب اتجاهنا وتضبط مسلكنا، وتقوّمه بسببية حسن النية وإرادة الخير والنزوع الطبيعي إلى السلام .Socialism Spirituel

وهذا اللون من الاشتراكية الروحية - فيما عدا أنه يشكل المقابل الموازي الطبيعي والظاهرة النفسية البدهية لكل اشتراكية عملية اقتصادية واجتماعية - يذكّرنا بألوان لها في مصر الفرعونية القديمة - إنما هي الروح التي تحيي لا الحرف - إن هذا اللون من الاشتراكية الروحية يستقطب ويستجلب معه ذهنية ديمقراطية من الأخوة والتسامح والتضامن طبعت بها شخصية الرئيس العربي، واصطبغ بها نظامه السياسي وثورته على الأوضاع الرجعية البالية مهما قيل ومهما كانت المراحل.. ولعله ما من ثورة عنيفة إلا ثورة مصر قامت في العالم وأهرق فيها مقابل استتبابها والقضاء على المقاومة لها، دم رجل واحد لا أكثر حكم عليه بالإعدام بسبب محاولته اغتيال جمال عبد الناصر في الإسكندرية كما هو معروف. وقد تكون مصر أقرب البلدان إلى عوده وتركيز نوع من الديمقراطية السياسية على الطريقة الغربية المتطوّرة أو امتداداً وإصلاحاً لهذه الديمقراطية، وذلك بأسرع مما يمكن أن نتصور.. فتقدير القائد العربي الكبير للحقوق والقيم الإنسانية الرئيسية الشخصية كما برزت في العرف والاختبار الغربي البريطاني والأوروبي الإسكاندينافي الشهير، لا يقلّ أبداً عن تمسّكه بتوفير فرص المساواة في الظروف الاقتصادية والثقافية لجمع المواطنين. فالتلاحم والتلازم قائم وأصيل.. وإنما القصد من كل اشتراكية حقيقية في النهاية هو الجمع والتأليف في قالب ونظام منسجم مسؤول بين حق الإنسان بالعيش وكرامة العمل وشرف الإسهام والاشتراك في الإنتاج الاجتماعي، وبين حقه بالحرية، وواجبها عليه.

وقد يكون الرئيس والرائد العربي قد تأثر في تكوين هذه الذهنية من مطالعاته وقراءته لأكثر ما كتب حول التجربة شبه الاشتراكية لحزب العمال في بريطانيا ولاختبار الشمال الأوروبي الإسكاندينافي، على حد ما قاله لنا مرة في دمشق. أو لعل في ذلك ظاهرة لتمسكه بلون من الإيمان الإسلامي المنفتح على كوة من الإنسانية الأصيلة في حياة النبي الكريم والصحابة والراشدين، والمستضيء بنفحة غالبة من الرضى والرضوان والتسليم، وارتقاب التوفيق من فجوة الوصلة بهذا الذي يتعدى إرادة الإنسان ويوجهها في صمت النفس وراحة الضمير.

ويبدو لنا أن هنالك تأثُّراً واضحاً بالمسلك السياسي الهندي في اعتمال الديمقراطية الاشتراكية على طريقة نهرو، والنابعة من تراث الهند ومن وحي أصداء دعوة المهاتما غاندي، مهما قيل في عكس ذلك. كما وأن في هذه المواجهة تحقيقاً وتدقيقاً وتحليلاً لما ذهبت إليه التجارب الاشتراكية الماركسية، ومحاولة لتجنب غلوائها وطيشها أحياناً، وإغراقها في العنف وفي تحجر الكلمة وجمود الذهن والعقيدة.

وفي اعتقادنا أن في جبلة الرئيس جمال وتطبّعه ومواقفه شيئاً من كل ذلك في آن واحد.

وتبرز من خلال هذه المواجهة وهذه الذهنية وهذه الأعمال وهذه النهضة الاقتصادية والاجتماعية الماثلة في مصر الجمهورية، اشتراكية عربية تجريبية عملية تهدف إلى الجدوى قبل كل شيء، أكثر منها اشتراكية عقيدية. لأن في العقائد جفافاً وجموداً واستحسان عصبيات يبعدها عن مسالكة الواقع ووحي العقل.. وإنما العقيدة وضعت لأجل الإنسان ولم يخلق الإنسان لأجل العقيدة. وقد يكمن في ذلك التصرف سرّ نجاح التجربة المصرية وطابع الاستقرار السياسي الذي رافق هذه التجربة.

كما وأن هذه الروح العملية التجريبية الملازِمة والآخذة بواقع مصر وشعبها ربما كانت هي التي أوحت بتأليف من الاقتصاد المؤمّم والاقتصاد المختلط والاقتصاد الفردي من آن واحد، على غرار التجربة الاشتراكية الهندية وبعض

دول أوروبا الشرقية. كما وأن هذه الروح العملية التجريبية هي التي أوحت بهذا الطابع من التعاون بين المصلحة الخاصة والمبادرة الخاصة وبين المصلحة العامة والتوجيه العام، على حدّ ما كان يتصوّر ذلك «بركي» Burky في كل اشتراكية حقيقية.. لأن المقصود من تحقيق النظام الاشتراكي ليس سوى التوفيق بين جهد الفرد وبين تعاون الجماعة ومصلحة هذه الجماعة وحقّها بأن يكون الاقتصاد اقتصاداً اجتماعياً موجَّهاً لمصلحة الأمة.

ونكتفي بهذا القدر من التقديم لهذا الكتاب الذي يكشف، في أسلوب منطقي، شيئاً بسيطاً عن مكامن رجل أحببناه، وأحببنا فيه هذه الطينة الإنسانية، هذه الشجاعة المعنوية، هذه الصراحة الشفافة القريبة إلى العقل وإلى القلب، هذه الروح العملية والعلمية المستوحية لما في ذهنية الغرب من مسؤولية وانتظام وعزم في الأمور ومثابرة في التحقيق والجهد والمراقبة، وبين أفضل ما في مصر وفي تاريخها وفي جبلة شعبها المتوجّه دائماً إلى إشراقة النور وومضة شمس الفجر منذ كانت ترتسم له في باطن خياله فوق مسلاّت ضمير الحضارة الأولى، حتى عهودنا المستوثقة شمس العلم والانفتاح والعدالة هذه، وبين الانتساب المعنوي التراثي لروحية الإسلام وتقليد العرب.

وهكذا فإن أكثر ما نحب في عبد الناصر - علاوة عن صداقتنا الشخصية التي لا تتزعزع- هو هذا الإنسان الطامح إلى الخير والفضل والحب والقوة المعنوية في الرجل على قدر اهتمامنا وأكثر بالسياسي وبالمنظّم وبالقائد الاجتماعي وبالرائد القومي العربي والذي عرف أن يطبع هذه القومية ذاتها بطابع الإنسانية.. أي هذا النتاج الصافي الذي يبقى جوهراً في النفوس، قبل وبعد تعريتها من ضوضاء السياسة، ومن إطارات الدعاية، ومن تصورات العاطفة المشعة، وفي التقدير المستحق الذي يذهب حتى أبواب التقديس ويقف بنا عند عتبة المحبة الخالصة والثقة والوفاء. وهذا الشعور - شعورنا - هو اليوم في ظرف النكسة أقوى في توجهه إلى جمال عبد الناصر منه في أي زمن سابق وآخر».

* * *

ملحق رقم 9

بيان الحزب التقدُّمي الاشتراكي حول أزمة قناة السويس[1]

«تجتاز البلدان العربية، ومنها لبنان، مرحلة خطيرة جداً، قد لا يقابلها ويماثلها ربما إلا تلك الحقبة المباشرة التي سبقت خسارة عرب فلسطين لبلادهم. وهذا الخطر في الموقف الحالي الناجم عن رد فعل الغرب على تأميم شركة قنال السويس يتناول احتمالات ربما تكون غير قابلة الوقوع، ولكنها على كل حال محتملة جداً، نحصرها في ما يلي:

1 - في إمكانية اتفاق دول مؤتمر لندن، أو أكثرية أعضاء هذا المؤتمر، على قرار يتناول قضية ترعة السويس، وقد يمسّ في جوهره مبدأ سيادة مصر ومصالح البلدان العربية بشكل عام..

2 - في تهديدات دول الغرب باستخدام العنف إزاء التبديل الذي طرأ على الوضع الحقوقي لترعة السويس.. أو الذي هو أقرب إلى الوقوع في تحريك إسرائيل لتحويل مجرى الأردن، وبالتالي لدفع الدول العربية للحرب معها..

3 - في إمكانية استخدام دول الغرب فرصة

(1) جريدة الأنباء، 10 آب 1956.

الرد على هذا التأميم لتبديل أوضاع الشرق العربي بشكل عام وربما لفرض الصلح مع إسرائيل.

4 - في محاولة الدول الغربية شق صف الدول العربية أو بالأحرى الحكومات العربية وبلبلة موقف بعضها...».

* * *

ملحق رقم 10

برقية كمال جنبلاط إلى جمال عبد الناصر بمناسبة عيد الوحدة[1] (1961/2/24)

«سيادة الرئيس جمال عبد الناصر/ دمشق

تأتي أعياد الوحدة في كل سنة فتضاعف فينا الأمل بانتصار قضية الحق والحرية والاشتراكية في العالم العربي، وتزيد في تعلقنا بشخصكم، وتمسّك الشعب العربي في كل مكان بقيادتكم المتحرِّرة والمناضلة والحكيمة. فكنتم ولا تزالون بنظر الشعب اللبناني بأسره، في ما عدا ضعفاء النفوس والوطنية، الصخرة التي تتحطم عليها مؤامرات الاستعمار، والقوة الفاعلة التي تطلق التاريخ من عقاله إلى الأمام، والصدر من الدرع الذي نواجه به خطر إسرائيل ومطامع الأجانب، ورجل القدر والإصلاح والخير الذي بلوَرَ جهاد الشعب العربي في كل مكان وجعله قدرة فاعلة في مصير العالم.

ولو أُذِن للبنان أن يرحب بكم وأن يعبّر لكم عن محبته لكان سار إليكم بجباله ووديانه وأشجاره وأنهاره. فثِقوا يا سيادة الرئيس أن حرصكم على كيان لبنان واستقلاله وعروبته ودأبكم المستمرّ في تقدير شعبه ونضاله وعلى تقوية وحدته الوطنية هو

(1) كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، مرجع سابق، ص 312.

محراب في كل قلب، ومذبح في كل ضمير يتوجهون منه إليكم.

إنني باسم الحزب التقدُّمي الاشتراكي أحييكم، وباسم ثورة لبنان الوطنية في اعتقادنا الصميم الراسخ بأننا نعبّر في ذلك عن شعور الشعب اللبناني بأسره، فيما عدا هذه الحفنة من القلقين على مصير الاستثمار الاقتصادي والعبودية الفردية والاستعمار السياسي في الشرق».

* * *

ملحق رقم 11

بيان الحزب التقدُّمي الاشتراكي ضد انفصال مصر وسوريا[1] (2 تشرين الأول 1961)

«إن الحزب التقدُّمي الاشتراكي الذي حرص منذ الساعة الأولى للأحداث المؤلمة، الجارية في الإقليم السوري الشقيق من الجمهورية العربية المتحدة، أن يؤكد باسم رئيس الحزب موقفه من الحركة العسكرية الأخيرة، يرى لزاماً عليه على ضوء التطوّرات أن يعلن أن الحدث السوري يبدو ارتداداً عن النهج التحرُّري الوطني والمبادئ التعاونية الاشتراكية والروح العربية الإنسانية التي ارتكزت إليها أسس تجربة الجمهورية العربية في الحقل الداخلي والدولي وفي تصرُّف الفرد ومسلك الدولة.

1 - إنه يبدو جلياً أن الحركة السورية الأخيرة إنما تهدف إلى تقويض قاعدة انطلاق الفكرة العربية والاشتراكية التي تمثّلها الجمهورية العربية، والتي اكتسب العرب في جميع أقطارهم بفضل نشوئها ونموّها المنعة والقوة المعنوية والعزّة والازدهار والكرامة، وبالتالي فإن هذه الحركة الرجعية في مضامينها والانعزالية في فكرتها والارتدادية في

(1) جريدة الأنباء، 2 تشرين الأول 1961.

نهجها وقصدها، إنما ترمي عملياً إلى إضعاف الكيان العربي الداخلي والخارجي وبعث التناقض والتنافر من جديد في نطاق تحققه وتهديم المفهوم الأساسي للتضامن والوحدة والتقدُّم الذي يشكّل وحدة المفهوم الأولى لترابط الجماعة العربية وقوّتها دولاً وشعوباً في هذا المنحنى من التاريخ الحافل بالأحداث والجسام.

2 - إن هذه الحركة (الدمشقية) تبرز امتداداً لتخطيط نوري السعيد وعبد الله في إنشاء الهلال الخصيب وثم في تجزئة كيان لبنان والقضاء على استقلاله وإقامة الأوطان القومية العنصرية المقيمة في شمالي العراق وفي شمالي سوريا ولبنان مقابل الوطن الطائفي الإسرائيلي. فسياسة الاستعمار لم تتغير عبر السنوات المتتالية...

3 - إن الحزب يؤيّد موقف الرئيس عبد الناصر ويكبر فيه هذه الروح من المِنعة والتجرُّد والتواضع والحزم والحكمة في آن واحد، التي تعرف أن تربح المعركة وألا تخسر في بعضها بدون استكبار ولا استضعاف ولا تشاؤم ولا استرسال في الحالتين، هذه الروح من التصرُّف التي تجعل من الارتداد والتبصُّر أحياناً قاعدة عملية ومعنوية للانطلاق والانتصار من جديد.

4 - إن الحزب التقدُّمي الاشتراكي يظهر قلقه أمام المصير المرتقب أو المجهول للحدث السوري ويعتبر أن قضية سوريا التي تربطها بلبنان وشائج أقصى وأقوى، هي قضية لبنان.. ولا يتم استقرار حقيقي في هذا البلد إذا لم يتوفر استقرار في القطر العربي الشقيق العزيز».

* * *

ملحق رقم 12

مقال بعنوان «جمال عبد الناصر قطعة من تاريخنا وجزء من حياتنا ونسمة من مشاعر قلوبنا» بقلم: كمال جنبلاط[1]

«قضى الرئيس عبد الناصر ضحية العرب، ضحية تناقضاتهم وخلافاتهم ومحاولاته المضنية المرهقة والمستمرة منذ سنوات لأجل إحلال التعاون والتضامن وعلى الأقل الأخوة العفوية الطبيعية فيما بينهم.

وذهب أخيراً عبد الناصر ضحية الجهد الكبير الذي حققه في بناء الاشتراكية في مصر وفي خلق المؤسسات التي كفلت للشعب المصري التنمية في جميع الحقول، الاقتصادية منها والتقنية والاجتماعية والسياسية والمعنوية، فكان من كبار بناة التاريخ على مثال بعض عظماء فراعنة مصر الذين كان يذكرنا بهم عندما كنا نسترسل في التأمُّل بوجهه الأسمر الجميل الذي يحتوي على نفس التقاطيع التي كانت تشخص في أعيننا منذ أقدم العصور بالرغم من انتسابه الظاهر، على ما يقولون، إلى قبيلة عربية. ولعله تمثيل وتشخيص بيننا لرعمسيس الكبير. فالإنسان لا يمكن أن يتحرر من بيئة الزمان والمكان التي يعيش فيها في

(1) جريدة الأنباء، 3 تشرين الأول 1970.

استمرارها التاريخي المتكاثف عبر الأزمنة ولو تعداها بعصوراته وتفكيره ونهجه. كما أن الراحل الكبير كان يذكرنا ببعض كبار الخلفاء الفاطميين في ما اعتمرت به حياته من أساليب وأهداف وكفاءة للتنظيم.

ولا نزال نتذكر مثال الحاكم بأمر الله الذي استدعى كبار علماء عصره ومنهم الهيثم لكي يضعوا له تصميماً لبناء السد العالي. كما أننا سنظل نردد في خيالنا العامر بالمقابلات الخطاب الإيحائي الرائع الذي لفظه الرئيس جمال عبد الناصر يوم تمت الوحدة بين سوريا ومصر وأورد في استيحاء مشرف بالتطلُّعات التاريخية الصحيحة هذا التجاذب والتعاطف الذي قام عبر التاريخ كله منذ أيام الفراعنة مروراً بعهود اليونان والرومان وحتى أيام العرب بين مصر وبين سوريا التاريخية الطبيعية. هذا التجاذب الذي كرسته الوحدة آناً من الزمن في الحالين وما لبثت أن فصلته بعد تجربة أربع سنوات يد الانقلابات العسكرية التي كانت تحركها الأغراض الاستعمارية الدولية.

ولكن هناك فارق نامٍ ومتطوّر بين لتك العهود السالفة وحتى الإسلامية العربية الخلافية منها، وبين عهدنا المعاصر الذي نعيشه. وهذا الفارق يكون في انطلاق ونمو مفهوم جديد للجماعة البشرية أبرزه التطوُّر الحضاري في العصور الحديثة هو مفهوم القومية.

وقد أدرك الرئيس عبد الناصر أهمية هذا العنصر المعنوي الجدي في حسه العبقري المستوضح لاتجاهات التطور وشعر في صميمه بالترابط والتلاحم الجامع الصاهر الذي ينطوي عليه مفهوم القومية العربية وحتمية تحققه في المجالات القريبة والبعيدة وأهميته البالغة كعامل مرحلي في تكوين وتوحيد الجماعة. فكان له الفضل الأول والأكبر في إدخال مصر في نطاق تطورها الطبيعي: أي في القومية العربية التي يجب أن يسبق حسها النامي المتصاعد إمكانية تحقيق الوحدة السياسية.

وهذه التنمية للشعور القومي العربي الذي يجب أن يسبق قيام أشكال المؤسسات السياسية المعبرة عنها كان يدرك أهمية سبقها الزمني فرأيناه حتى

بالنسبة للوحدة المصرية السورية يتردد في قبولها لعلمه بأنها لم تصل إلى طور نضجها التاريخي إذا كان لهذه الوحدة أن تتم بوسائل الشعور بالاقتناع الذاتي لا بالعنف الكابح والمحول والمسرّع لعناصر التاريخ في تكوينها. فكان يفصل دائماً بين مرحلتين: مرحلة تكوين الشعور القومي وتنميته حتى نضجه، وبين مرحلة تحققه في مؤسسات للجماعة. ففرضت الوحدة السورية - المصرية عليه. وبرهن واقع النكسة في هذه الوحدة فيما بعد أنه على حق في استشرافه النفساني والتاريخي.

ولا يزال معظمنا يقع في الخطأ المتلبس في رغبة إطلاق الشعارات بشكل رومانسي عاطفي والابتعاد عن التحليل الموضوعي: وحدة، وحدة، وحدة. ولو كانت الوحدة الحقيقة موضوعية صاهرة قد بلغت طورها الأخير لكانت تحققت فعلاً وفوراً.

وأدرك عبد الناصر في بصيرته الثاقبة ما كنا ذهبنا إليه منذ سنة 1941 و42 وبعدها من أن هناك قطاعات واسعة من العالم وخاصة في أفريقيا وآسيا خرجت، على حد تعبير العالم الأنتروبولوجي تيلاردي شاردان، عن انعزالها التاريخي بفضل الحرب وبسببها وإن هناك انتقالات واسعة بين البشر حصلت في تلك الحقبة كما أن هناك مواصلات معنوية وتحركات تحررية أخذت تتدافعها الحرب العالمية الثانية وتسرع بها نحو غاياتها. فشعر عبد الناصر بحسه المرهف السياسي والتاريخي بأن النطاق الآخر الذي يجب أن تنفتح عليه مصر في حقبة النهضة التي عقبت استلامه الحكم هو النطاق الأفريقي والآسيوي. ولقد كان للتفاعل المصري بهذه الشعوب والبلدان القادمة إلى نور الحضارة المسيطرة والمستيقظة من سباتها التاريخي ومن غفلتها في الاستعمار، لقد كان لهذا التفاعل أهمية كبرى في مرحلة التحرُّر من الاستعمار في إحياء شعور التضامن والمساندة على النطاق الأفريقي الآسيوي المذكور. فلا غرو إن كان الرئيس جمال عبد الناصر أحد أبطال فكرة الحياد الإيجابي والتضامن الأفريقي الآسيوي فدخل من هذا الباب الواسع إلى تمثيل البطل التحرُّري الشامل في مفهومه للقارة البشرية بكاملها. فتعدى بذلك النطاق

القومي العربي على غرار ما فعله بعض سلفائه في القرون القريبة والبعيدة منا. واستبصر بهذه الرؤيا الكاملة والشاملة للنضال البشري، لأن القومية العربية لا تقوم في عصرنا على حقيقتها كما لا تقوم أية قومية أخرى إلا بانفتاحها التام على الإنسانية جمعاء في معنى الشمول المعنوي والأرضي. كما أن هذا الاستعلاء في الرؤيا نفح روح عبد الناصر هذا التحسس الحضاري الإنساني التراثي الحقيقي HUMANISME الذي طبع نفسه وجهده وعمله في بناء الاشتراكية وفي تصور العروبة وفي قيادة الكفاح المصري والعربي. فانفتح قلبه الكبير للمحبة وللأخوة ولإرادة الخير وللنفع العام ولتجنب الإيذاء ما أمكن ولتطلب الإيجابية في كل شيء مبتعداً بذلك عن جهالة الواقع السياسي العربي وتشنجه في شتى الانفعالات الإقليمية والفردية والانعزالية. لأن الانعزال العربي هو واقع كما أن الانعزال اللبناني عند فريق من اللبنانيين هو واقع أيضاً. وبكلمة موجزة في هذا الاسترشاد أدرك عبد الناصر أن القومية لا تقوم كأي مفهوم آخر للإنسان إلا بانفتاحها الكامل على قيم الإنسان. وأن عهد القبلية قد مرّ وعهد الشعوب ذاته ذاهب بدون رجعة، وأن عهد الإنسان يشرق بتوهج أكبر من حلكة ليالي عقل الإنسان وتطلع شعوره.

ونمت هذه الذهنية الإنسانية في شخصية عبد الناصر بشكل خاص كما تطورت وتجلّت نظرته الموضوعية للمحيط العربي وللمحيط الدولي وللعالم بعد نكسة الخامس من حزيران فعرف عبد الناصر وعرف الشعب العربي في مصر قيمة التعهدات العربية والدولية وقيمة حرب الشعارات. فمرت نفسه في تلك الأيام، المشبعة بالانتقاد الذاتي وبالتحليل وبالمواجهة الصريحة، بآلام يصعب على المواطن العادي تقديرها. فصقل عقله وتضوعت مشاعر قلبه وترفّعت بهذا الذي كنا نسميه وإياه بالتطهير، هذا التطهير الذي تحدث عنه وأدرك سلامة وضرورة دخولنا جميعاً فيه في تحدينا لأساليب السهولة والتواكل والعاطفية والديماغوجية التي كنا نعيش فيها ولا نزال فيها معظم الأحيان على نطاق هذه الذهنية السحرية الميثولوجية التي تعتقد بأن لفظ الأشياء وترديد

المقولات يؤدي إلى تحقيقها بدون جهد عملي مقابل.

وكنا نرقب في مقابلاتنا للرجل الكبير مدى تبلور هذا الصفاء التطهيري في نفسه وكيف كان يرتفع في معراجه إلى لون من ألوان التحقُّق الروحاني الذي يتعدى المفهوم الديني المنحصر الضيق والذي ينبعث من شعورنا الكامل، بالإنسان في ثنايا كياننا. وقد بلغ هذا الشعور الروحاني عند عبد الناصر استشفافاً عجيباً في مراحل حياته الأخيرة جعلت شخصيته وضاءة وارتفعت به إلى بعض صفات الولاية الروحانية التي توّجت استشهاده لأجل السلم.

وهذه الزاوية النامية من تطور شخصية عبد الناصر وهذا الطابع المتصاعد المتكامل من حياته الداخلية يبرز لنا أن عبد الناصر كان رجل سلم وداعية سلم قبل أي شيء آخر.

وهذا وجه من وجوهه المتعددة المتناسقة هو الذي دعا به إلى القبول بمقترحات روجرز الأميركية بعد أن رأى من العرب العجب في تخاذلهم وتواكلهم وخلافاتهم وحروبهم الحقيقية الداخلية وتقاعسهم عن نصرته ونصرة قضيتهم. كما رأى انعدام جدوى حرب التحرير الشعبية كما هي قائمة وكما يدعون إلى إقامتها، فسعى بعينه الثاقبة إلى محاولة تحقيق الأهداف العربية والفلسطينية بواسطة الأمم المتحدة وبوساطة الدكتور يارينغ تحقيقاً للأماني العربية والفلسطينية ذاتها، ورفعاً للآلام وللظلامات التي يتعرض إليها أبناؤنا العرب في فلسطين المحتلة.

ولعبد الناصر الفضل في نواحٍ ومنطلقات أخيرة لا بد أن نذكرها:

أولاً: أنه أبعد الجيش والعسكريين تماماً عن السياسة. وكان يقول لي: إنني أعتبر أن أعظم ما حققته في مصر قبل الاشتراكية هو نجاحي في إبعاد الجيش عن السياسة. فطبع التطور الاجتماعي والقومي في مصر بطابع السياسة والأساليب السياسية لا بطابع الانقلابات والتحرُّكات العسكرية والحكم العسكري المباشر وغير المباشر. وقد أضفى هذا الواقع على التجربة المصرية اللون التطوري السليم.

ثانياً: لقد حقق عبد الناصر

الاشتراكية في مصر بدون عنف ظاهر وبدون اللجوء إلى ما ذهبت إليه بعض الحكومات الأخرى من إجراءات عنيفة وصلت أحياناً إلى حمامات الدم على نطاق واسع جداً. لم يقتل إلا شخص واحد في مجرى تحقيق الاشتراكية في مصر وهو الشخص الذي حاول الاعتداء في الإسكندرية على الرئيس عبد الناصر وقُبض عليه.

أما نظام المخابرات الذي خلق بعض الكبت في السنوات الأولى من العهد الجديد ونما كنظام شبه مستقل عن الدولة، فقد قضى عليه عبد الناصر عندما أدرك خطورته من جهة وأدرك تذمر الأهلين الشرعي والطبيعي منه وتحسس بتناقضاته مع أنظمة الحرية الاشتراكية.

إن التجربة المصرية هي من هذه الناحية تجربة رائدة في حد ذاتها انطوت على التسامح وعلى التعاطف المتفهم الإنساني وعلى أهمية الإقناع. وكان يقول لي أحد كبار المراقبين الأجانب ونحن في غمرة حزننا على الفقيد الراحل: إن عبد الناصر عرف كيف يدخل الاشتراكية إلى كل بيت في مصر، أن يجعل كل عائلة مصرية تشعر وتفهم ببساطة ما هي الاشتراكية وتتعلق بها.

ثالثاً: إن التجربة الاشتراكية التي أقامها الرئيس عبد الناصر في مصر تعدت المفهوم الدولي للاشتراكية أي اشتراكية الدولة كما هو معمول بها في بعض الدول، إلى المفهوم التعاوني الإنساني للاشتراكية.

ويذكرنا هذا اللون من الاشتراكية التعاونية الإنسانية غير المتطرفة والآخذة بظروف الإنسان وبثوابت مجتمعة ونفسيته، تذكرنا هذه التجربة الاشتراكية المصرية بما قام من أنظمة في مصر القديمة وخصوصاً في عهد البطالسة. كما تترادف في ذهنيتنا أكثر من رؤية واجترار للعهود الفاطمية التي جعلت من مصر دولة في القرون الوسيطة.

وأخيراً، لا بد من التنويه بالنهج الأخلاقي الرفيع الذي كان يتّسم به فقيدنا الحبيب الذي تشخصت فيه طباع العرب في أصالتها الاجتماعية والتاريخية، فكان هذا البطل العربي إلى حد كبير. فإن هذه الأخلاقية طبعت علاقاتها بأصدقائه - وكان لنا شرف عزيز

أن نكون منهم - وبزملائه وبإخوانه وبالمواطنين المصريين والعرب وبأخصامه بطابع الشهامة والأمانة والوفاء والصدق والتواضع الجم والأنفة الحقيقية والمصارحة الأخوية. هذا الذي جعل عارفي الرجل وأصحابه ومقدريه يلتفتون أول ما يلتفتون إلى كِبر نفسه ورفعة قيمه وسمو تصرفه قبل أن يلتفتوا إلى عبقريته واستبصاره لدوره وتقييمهم لفعاليته في هذا المنتدى والمسرح من التاريخ.

علينا واجب، وعلينا وفاء للرجل الكبير الذي سيظلّ يفعل في الضمير العربي في الاتجاهات التي حللناها ومن خلال طاقته المشعة والمستعلية في استشهاده. علينا واجب ووفاء بأن نولي ثقتنا الكاملة وبأن نؤيد التأييد المطلق كل خليفة لزعيم مصر والعرب ولرائد الإنسانية الكبير لكي تستمر القيادة الناصرية التي هي - مهما قيل - القيادة الرئيسية الفاعلة الأولى في توجيه مقدراتنا وفي إنقاذ شعبنا العربي من كبوته التي افتعلها التواكل العربي في معظم الأقطار والتخلُّف عن ركب الحضارة، ولكي نصون لبنان من الهزات العنيفة. لبنان الذي كان فقيدنا الكبير يحبه ويرتجيه في إطار تطوره الطبيعي نحو تحقيق الدولة الجديدة والمجتمع الجديد.

وهذا التمسك بالقِيَم الأخلاقية - التي تفرضها نظامية التطوُّر والحياة، ويبدعها منطق العقل باستمرار - يرفع بعبد الناصر إلى مستوى القيادة السياسية الحقيقية والسليمة ويسجمه بهذا التطور ذاته ويجعله أحد صانعيه ومحققيه في آن واحد. وفي هذا المرتقى يبقى جمال عبد الناصر كقوة من النور تعبق بمضامينها في نفوسنا كما لو عشنا شخصية وحياة صلاح الدين يوم كان الحلفاء والأصدقاء والأعداء والمستكبرون على السواء يتسابقون لأجل امتداحه ولأجل التمثل به ما قدروا.

مات عبد الناصر كما مات صلاح الدين قبل أن يرى تحرير الشاطئ العربي بكامله وشهد خلفاء صلاح الدين ذلك كما سنشهد ربما ذلك بعد حين. ولعل في تخطيط القدر أن يحجب عن أيدي جمال ويجنبها ما يعلق بالأيدي وبالنفوس من آثار للدماء المهروقة».

ملحق رقم 13:

مقال بعنوان «في ذكرى ميلاد عبد الناصر أمة لم تفهم مخلّصها!»[1] بقلم: كمال جنبلاط

«كانت حياة عبد الناصر السياسة طاقة اندفاع كبرى في حياة العرب، وقد أيقظت القومية العربية من سُباتها العميق، وكانت منطلق نهضة على جميع الأصعدة لو تيسّر للقيادة العربية من يؤمّن تحقيق هذه الانطلاقة. ولكن ما حصل يكفي بأن تأتي الأجيال المتعاقبة فتكمل البناء الجبار وتُسهم في إيقاظ الوعي وفي تتميم الرسالة.

مشكلة عبد الناصر أنه كان رجلاً في أمة، ولكن الأمة لم تكن في هذا الرجل، لم يتحسس العرب بما كان يطالب به رجل النهضة الكبير وبما يتوجب عليهم القيام به لملاقاة ندائه واستنهاضه وتخطيطه. وإذا كانت آلام جمال عبد الناصر كبيرة لأنه كان يشعر بأنه قد سبق هذه الأمة مراحل وأنه تقدمهم ولكنها لم تتبعه إلى حيث كان قائماً وساعياً في مجرى النهضة العربية الكبرى. ولذا قال عنه المؤرّخ الشهير توينبي بأنه كان بسمارك العرب، ولكنه لم يتوفق كبسمارك في التوحيد، لأنه هذه الأمة لم تكن على ما يبدو مستعدة لهذا التوحيد.

(1) جريدة الأنباء، 18 كانون الثاني 1974.

ومن منطلقات هذه النهضة وفي رأسها قيام دولة علمانية لا على شاكلة الغرب الديمقراطي ولا على شاكلة الشرق الشيوعي، بل دولة علمانية ملتزمة بالمفاهيم الروحية والقيم المعنوية للدين والمجتمع، وبشكل أوضح، بهذا التراث المشترك الذي خلفته ورعته جميع الأديان والمعتقدات الروحية.

والفاصل في الواقع بين التجربة الاشتراكية على الطريقة الماركسية والتجربة الاشتراكية التي وضع أسسها جمال عبد الناصر هو:

أولاً: تقدير عبد الناصر لقِيَم الأديان الروحية، وقِيَم المجتمع المعنوية في تكوين ما يمكن تسميته بروح المجتمع النابضة بالحياة.

ثانياً: اعتبار القومية تأليفاً يعبّر عن نيّة المجتمع والدولة، فلا تزول القومية بزوال النظام الرأسمالي بل تبقى لأنها هي بالنسبة للمجتمع كالشخصية الفردية بالنسبة للإنسان والفرد.

ثالثاً: اعتماد الرئيس عبد الناصر في تجربته على مجموع الشعب في تكوين النهضة الداخلية، لا على طبقة من الطبقات، فأراد أن يكون الاتحاد الاشتراكي حزب الشعب، الجامع لكافة طاقاته وفئاته الاجتماعية المخلصة والأمينة على المسيرة التي ارتضاها لبني قومه.

رابعاً: إدراك عبد الناصر بأن المشاركة أمر جوهري في الإدارة وفي أرباح المشاريع المؤممة، وذلك لكي يتوافر لون من ألوان المساواة العضوية بين العمال ومدراء المعامل لأن القيادة - كل قيادة - هي في النهاية سلطة وشورى في آن واحد.

وهنا يلتقي الرئيس عبد الناصر في هذا التفكير بنظرة الجنرال ديغول البعيدة والمقتبسة من اختيار تاريخي أصيل: فكرة ومبدأ المشاركة. وفي رأيي أن هذه الفكرة شعار كل اشتراكية لأنه بدونها لا تتم في المعنى الحقيقي معاني المساواة العضوية التي ينزع إليها تحقيق الاشتراكية.

أضيف إلى هذه المعالم الرئيسة، التفكير الديمقراطي السياسي الذي كان في أصالة تصميم وثقافة الرئيس جمال عبد الناصر، وقد كان قبل هزيمة سنة

1967 يقول لنا بحزمه وجزمه المعهودين: إنني أفكر جدياً بإنشاء نظام الحزبين في مصر، اي أن يكون هناك حزب موالٍ وحزب معارض. ولكن ما حصل سنة 1967 أخّر إنجاز هذه الخطوة التي لو تحققت لكان لها أثر كبير في تطوير النظام المصري نحو الديمقراطية الاشتراكية السياسية الصحيحة.

هذا ملخص لمنطلقات وأفكار الرئيس جمال عبد الناصر الذي نحتفل اليوم بذكرى ميلاده، وهي أفكار ومنطلقات ستظل إلى الأبد مشاعل نور لهذه الأمة تدفعها نحو نهضتها الكبرى».

* * *

ملحق رقم 14:

«كلمة حزب الأحرار الاشتراكيين ألقتها ممثلة الحزب السيدة مي الشاذلي»[1]

«إلى المجاهدين الأحرار،

والمناضلين الأبرار،

جئتكم - من مصر - ممثلة لحزب الأحرار الاشتراكي بها، أحيي معكم ذكرى القائد المعلِّم، والبطل المقدام، عاطر الذكر كمال جنبلاط. ذلك الرجل الذي جمع شمل الوطنيين، وعقد التحالف بينهم وبين الفلسطينيين. ودعا إلى وحدة الصف، ورأب الصدع، ونادى بالعلمانية سبيلاً إلى كلمة واحدة، وندد بالطائفية وكل أشكال التفرقة، فكانت مبادؤه صيحة رائدة سوف تظل في ضمير الزمان خالدة.

أحيي معكم ذكرى الرجل الذي أنشأ من قيادة الشعوب مبدأ عظيماً، حين رفض أن يفرّق بين السياسة والأخلاق؛ ذلك أن السياسة عنده أخلاق، والأخلاق لديه سياسة. فكان الطاهر النقيّ في غاب الساسة والسياسة. ولا غرو، فلم يكن ذلك غريباً على من كان مثله من تصوفه وزهده وورعه وواسع ثقافته.

(1) قالوا في كمال جنبلاط، الدار التقدُّمية، المختارة، الطبعة الأولى 2002، ص 99 - 101.

وإن كانت يد الغدر قد امتدت لتعتدي على جنبلاط الجسد، فإن جنبلاط، المبدأ والفكر، سوف يبقى إلى أمد جد بعيد.

ذلك الفكر الذي دعا إلى الإصلاح السياسي برنامجاً ومنهاجاً. استقاه من واقع لبنان واستنبطه من مجريات الأمور فيه. وقد اتخذه الحزب التقدُّمي الاشتراكي الذي كان يرأسه هادياً ومناراً، وتوسل به برنامجاً ومنهاجاً. كما أيّدته الحركة الوطنية في لبنان، والتفت من حوله، فتحقق بعض الذي دعا إليه الفريق الوطني من توحيد صفوفه في جبهة عريضة واحدة وتمكّن بذلك من إيجاد الألفة والمحبة بين مختلف فئات الشعب اللبناني.

ومن جهة أخرى، فقد انتصر جنبلاط للفقراء فأحبوه لأنه دافع عن حقوقهم... وتصدى لأعداء الاشتراكية فأبغضوه لأنه صار شوكة في حلوقهم.. ولقد أحبه الفلسطينيون لأنه اعتبر قضيتهم هي قضيته الأولى، وكشف دور مبغضيهم وبيّن أن لهم من مأساة فلسطين اليد الطولى. وقد أرادت اليد الآثمة التي امتدت إليه فأودت بحياته نسف كل هذه المعاني، لكن معسكر جنبلاط البطل سوف يتخذ من مبادئه وأفكاره مفجراً لطاقات غير محدودة لأفراده... ومولّداً لجهود مكثفة ترمي إلى وضع هذه الأفكار وتلك المبادئ موضع التنفيذ.. وتخرجها من عالم النظرية الروحية إلى عالم الحقيقة الواقعية، فتثأر بذلك من الذين قتلوه... وتسخر عندئذ من مخطَّطهم المشبوه، وترد لهم السهم إلى نحورهم، فيقضوا نحبهم كمداً ويموتوا بغيظهم.

والذي يعزينا من فقد البطل العظيم أن قتله على هذا النحو لم يكن مفاجأة له، بل أن ذلك أمر كان يتوقعه دون ملل ويترقبه بغير ضجر. ولقد رآه رؤى العين بشفافية روحه، وسمو نفسه، فتحدث به إلى بعض خلصائه ومريديه. وردد في أكثر من مناسبة أنه سوف يموت اغتيالاً كأخيه وأبيه. وما حمله ذلك على أن يتخذ حرساً، وذلك ما علّمه إياه إيمانه: أن الحذر لا ينجي من القدر.

ولكنه كان يرى من موته - كما ناشدنا أشياعه ومحبيه - البذرة التي تنبت

موفور الزروع وتؤتي كثير الثمار... وتلك الثمار لم تكن عنده إلا التمسك بالوحدة الوطنية، والسير في تحرير الأرض المحتلة وإعادة الشعب الفلسطيني إلى دوره وأرضه وزرعه وعمله.

فالنضال يا أنصار جنبلاط من أجل تحقيق مبادئه.

دستور جديد للبنان،

إلغاء للطائفية والانعزالية،

تمثيل شعبي متوازن عادل بالمجالس النيابية والمحلية،

تطهير للإدارة من أدران الانحراف والسيب،

إعادة لتنظيم الجيش،

تعزيز للحقوق والحريات الديمقراطية.

عزاء لك يا وليد،

عزاء من الفقيد الجليل،

وتحية للمجاهدين من بعده على طريق الوحدة الوطنية والسلام الاجتاعي،

وسلام لكم من أحرار مصر».

* * *

الفصل الرابع

التقييم

لقد آمن المعلّم كمال جنبلاط بضرورة النضال الوطني والنضال القومي في سبيل وطن عربي منسجم مع أشقائه العرب وعالم عربي قومي التوجُّه واشتراكي العقيدة وداعم لجميع الحركات النضالية القومية على ساحته الكبيرة. فالقائد الاشتراكي لم يحدّ طموحه حدود بلد من البلدان أو قطر من الأقطار العربية، بل اجتاز بفكره وعقله الحدود العربية ليشمل في نضاله جميع شؤون العالم العربي وشجونه.

لقد أبدى رأيه ورأي الحزب التقدُّمي الاشتراكي في جميع القضايا النضالية العربية، من المغرب إلى الجزائر وليبيا وأريتريا وسوريا والعراق والأردن والعالم الفلسطيني. وبنى كمال جنبلاط استراتيجيته للنضال الوطني ليكون منسجماً مع استراتيجيته للنضال القومي، فكان هناك تزاوج فريد ورائع بين نضال جنبلاط الوطني ونضاله القومي. لم يميّز المعلّم بين النضال داخل لبنان والنضال في الوطن العربي الكبير، فكان على الدوام واضحاً ومفهوماً ومؤيداً بشكل كامل لجميع حركات التحرر العربية الهادفة إلى التخلص من الاستعمار والتبعية للغرب والابتعاد عن سياسة

المحاور والانحياز إلى الغرب. لقد دعم جميع التحركات الشعبية والجماهيرية حتى تساءل كثيرون:

ماذا يريد كمال جنبلاط؟

وماذا يختزن الرئيس الكبير في فكره وعقله؟

وهل يريد أن يستوعب كل حركات التحرّر في العالم العربي؟

وهل يريد عالماً عربياً موحَّداً اشتراكياً تقدُّمياً ناهضاً نحو الديمقراطية والحرية وتكافؤ الفرص للجميع؟

ونحن نرى أنه نعم - كان يريد توحيد العالم العربي التقدُّمي، كان يريد نهضة العرب والتقارب مع العالم الاشتراكي الشرقي حيث لهم الأفضلية في الدعم بدلاً من لمّ فتات موائد العالم الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة وبريطانيا. فتجارب المعلّم كمال جنبلاط مع الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية كانت جميعها سلبية. فهما اللتان دعمتا إسرائيل مقابل عالم عربي متعطش للتكنولوجيا، لا سيما العسكرية منها، وراغب من الانفتاح على الغرب الناهض والمتطور، ليس كتابع للسياسة الإسرائيلية، إنما كرائد في العلاقة معه.

لقد اقترح المعلّم كمال جنبلاط، علاوة على وحدة العالم العربي، قيام لوبي عربي عالمي مماثل للوبي اليهودي يكون ضاغطاً على دول الاغتراب في سبيل تأمين المصالح العربية ودفع الدول حيث يقيم المغتربون إلى دعم الحقوق العربية من خلال الضغوط الاقتصادية والإعلامية على هذه الدول.

كما عمل على التنسيق بين الأحزاب الاشتراكية في العالم العربي داعياً إلى عقد اجتماعات لممثليها في بيروت وإلى إصدار توصيات قومية تساهم في تقدُّم العرب ورفعتهم. وعندما اتخذت مصر الملكية تدابير ثأرية ضد رئيس حزبها الاشتراكي، انتفض منتقداً هذا التصرف البعيد عن القومية وعن الحق والعدل.

عسكرياً، دعا المعلِّم كمال جنبلاط إلى إنشاء جيش عربي موحَّد القيادة تساهم كل دولة عربية في قسم من قواته ويكون جاهزاً للتدخل حيث تدعو الحاجة حفاظاً على الحقوق العربية ودعماً للقضية العربية الكبرى والأولى

التي هي قضية فلسطين.

فالنضال من أجل فلسطين كان قاعدة النضال العربي الذي نادى كمال جنبلاط به عن وعي وثقة وزخم. وهنا التقى مع الزعيم العربي الكبير جمال عبد الناصر. فرغم أن ثورة الضباط الأحرار بدأت عام 1952، فإن كمال جنبلاط لم يجتمع بعبد الناصر قبل عام 1955، متخوّفاً من أن تكون حركة الضباط الأحرار حركة عسكرية بحتة وأن لا تؤمن بالنضال القومي العربي. لكن، وبعد تأكُّده من توجّهات عبد الناصر العربية والقومية، بدأ لقاءه معه، وكان لقاءً صحيحاً وواقعياً أعطى للعمل القومي زخماً كبيراً وساهم في انتشال الأمة العربية من الجمود والتخلُّف والسلبية ودفعها في ميادين النضال الإيجابي والمتحرك والحيوي في سبيل تأمين المصلحة العامة.

لقد آمن عبد الناصر بالقضية العربية القومية التي آمن بها ودعمها كمال جنبلاط. والزعيمان اعتمدا الحماس ووضوح الرؤيا والجرأة في طرح قضايا النضال العربي، وحرّكا الجماهير الشعبية التي اعتبراها القوة الرئيسية في تحقيق الأهداف الوطنية والقومية الكبرى.

ودعا القائدان إلى تجنيد القوى الشعبية العربية ودفعها لخوض غمار النضال وميادين الصراع في سبيل حماية الثورة العربية ومكتسباتها عبر عملية صعبة وشاملة ومرتفعة التكاليف مستخدمين في هذه المهمة كامل الجهد والعزم وتابعين الرؤيا العامة والشاملة للأمة العربية بجميع أقطارها. لقد بقي كمال جنبلاط، كما عبد الناصر في قلب الحدث وبقي مصرّاً على ممارسة الفعل والتغيير من خلال الدينامية التي ميزته طيلة مرحلة ممارسته السياسة. لقد رفض أن يكون في موقع ردّة الفعل وأخذ دوماً المبادرة في طرح القضايا الشائكة وصعبة الحل إيماناً منه بأن الإرادة الشعبية الراغبة في التطور والنجاح يمكنها تحقيق المعجزات.

لقد نجح كمال جنبلاط، كما عبد الناصر، في تحديد عدو الأمة وصديقها ولم يخلط بين المعسكرين أبداً. فبالنسبة للمعلّم كمال جنبلاط، إن كل من يساند إسرائيل ويدعمها في حربها العدوانية

على العالم العربي هو عدو للعرب وينبغي شن حرب على مصالحه الحيوية. هذه الحرب التي خاضها الرئيس جمال عبد الناصر عسكرياً، قرّر المعلّم جنبلاط خوضها اقتصادياً وإعلامياً ونفسياً من خلال اعتماد المقاطعة الاقتصادية والمالية للدول الداعمة لإسرائيل.

آمن كمال جنبلاط بأن لدى العالم العربي إمكانات هائلة وثروات لا تُحصى لم يستخدمها العرب في حربهم الشاملة ضد إسرائيل. فالحرب الشاملة، بالنسبة له، ليست فقط عسكرية واستراتيجية، إنما خاصة اقتصادية وإعلامية ونفسية واجتماعية. وهكذا طالب الدول النفطية باستخدام سلاح النفط في المعركة المصيرية من خلال مقاطعة الدول الغربية التي ساهمت في هزيمة 1967، وأيّد هذه الدول عندما فرضت حصاراً نفطياً على الولايات المتحدة وأوروبا الغربية عام 1973. وعندما بانت ملامح النصر العربي عام 1973 على جبهة الجولان السورية وسيناء المصرية، أظهر كمال جنبلاط حماساً كبيراً وأعلن دعم الحزب التقدُّمي الاشتراكي المطلق للجيوش العربية المقاتلة وللمقاومة الفلسطينية. وشارك في حملة المجهود الحربي والتبرّع بالدم والمال وبدعم المقاتلين بجميع الوسائل الممكنة. كما أصدر، عبر الحزب التقدُّمي الاشتراكي نداءَيْن في تشرين الأول عام 1973 من أجل دعم القضية العربية وكفاح العرب في سبيل تحرير أراضيهم المحتلة، شاكراً الدول الصديقة التي دعمت المعركة العربية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي.

وفي عام 1973، وإثر الحماس الذي ظهر في العالم العربي التقدُّمي للنصر العربي في الحرب، قدّم مشروع «دستور دولة الاتحاد العربي» وعرضه على الدول المدعوة للانضمام إلى هذا الاتحاد خاصة سوريا ومصر والعراق واليمن وليبيا والجزائر وغيرها، مدفوعاً بإيمانه بأن في الاتحاد العربي قوة، وفي التشرذم ضعف. وهذا ما ظهر فعلاً في حرب عام 1973.

وفي عام 1975، وعندما قرّرت الدول العربية الذهاب إلى جنيف لأجل السلام، عارض كمال جنبلاط هذه الفكرة مطالباً بدعم صمود شعب مصر

وبإنشاء جيش عربي قومي ودعم دول المواجهة بدلاً من توقيع سلام ناقص[1].

وإن كان الرئيس جمال عبد الناصر قد استند في نضاله القومي على دولة مصر ومؤسساتها، فإن كمال جنبلاط، الذي لم يكن رئيس دولة ولم يكن لديه مؤسسات حكومية، استند في بداية حياته السياسية على التنظيم الحزبي والشعبي من خلال تأسيسه الحزب التقدُّمي الاشتراكي. وهذا ما أمّن له على الصعيد العربي جملة تحالفات ارتكز في نضاله عليها وعلى أوسع قاعدة من قواعد النضال السياسي والاجتماعي والاقتصادي. لذلك كان أحق السياسيين الجماهيريين العرب في تسلّم الأمانة العامة للجبهة العربية المشاركة في الثورة، وهي الجبهة التي ساهمت في دفع الكفاح الفلسطيني على مستوى التنظيمات الشعبية والحزبية قدماً إلى الأمام.

وما يحيّر المراقب أنّ الرئيس كمال جنبلاط تمكّن من بناء علاقات رسمية مع القادة العرب على حساب التحالفات الحزبية والشعبية خاصة مع الأحزاب العربية الاشتراكية التي عمل على جمع قادتها أكثر من مرة في العاصمة اللبنانية بيروت. هذا الاستقطاب الجماهيري لم يهلمه المعلّم كمال جنبلاط إذ إنّه، وحتى تاريخ اغتياله واستشهاده، كان ينادي بتشكيل وحدات لبنانية من المتطوعين لتذهب إلى الجنوب وتساهم في معركة العرب المصيرية الكبرى.

إن رغبة كمال جنبلاط في إرسال متطوعين لبنانيين وفلسطينيين إلى الجنوب اللبناني نابعة من فهمه الصحيح بأن قضية العرب الأولى والمصيرية هي قضية فلسطين وأنّ النضال العربي الأساسي هو النضال في سبيل استرجاع الأرض السليبة في فلسطين. لقد آمن المعلّم بهذه القضية ولم ينسَ يوماً أن توحيد العرب ينبغي أن يحصل في إطارها كونها مجسّدة للعنفوان العربي وكون الشرف العربي مرتبط بها. فيوم التقى به المبعوث الأميركي «براون» وعرض عليه بأن

(1) انظر ملحق رقم 15: وقائع مؤتمر صحفي للرئيس جمال عبد الناصر حول دعم مصر.

الولايات المتحدة مستعدة لتنفيذ برنامج الإصلاح الديمقراطي المقدم من الحركة الوطنية اللبنانية مقابل التخلي عن الفلسطينيين، أجابه المعلم بقوله: «إذا فشلنا في تطبيق أو تنفيذ برنامج الإصلاح الديمقراطي فسيذكرنا التاريخ في سطرين، وإذا تخلينا عن الفلسطينيين وعن الثورة الفلسطينية فسيلعننا التاريخ».

إن هذا الإيمان الراسخ بالقضايا العربية الشاملة نابع من مفهوم المعلم كمال جنبلاط لنضال الأمم ولكفاح الشعوب في سبيل الحرية والسيادة وتسنّم المكانة اللائقة بين شعوب العالم. وهذا ما كان يتمناه للعالم العربي ولشعوبه. وكما قال ممثل منظمة التحرير الفلسطينية ماجد أبو شرار في ذكرى استشهاد المعلم، نقول نحن أيضاً إن كمال جنبلاط حرّ في ضمير كل أبناء الأمة العربية الذين رأوا فيه على مدار سنوات نضاله: «الفارس الممتشق على الدوام، القلم يكتب من أجل الأمة، والسيف يقاتل به أيضاً من أجل الأمة»[1]

* * *

(1) قالوا في كمال جنبلاط، الدار التقدُّمية، المختارة، 2002، ص 590.

ملحق رقم 15

مؤتمر صحفي للرئيس كمال جنبلاط حول دعم صمود مصر

بعد عودته من زيارة إلى مصرعقد الرئيس كمال جنبلاط مؤتمراً صحفياً خصّص الجزء الأكبر منه لدعم صمود مصر وشعبها وجيشها، مطالباً بإنشاء جيش عربي قوي، وبدعم دول المواجهة في المعركة المصيرية.

ومما جاء في المؤتمر[1]:

«نعود من زيارتنا إلى جمهورية مصر العربية والأسى ينزف في نفوسنا على ما رأيناه وشاهدناه من صعوبات اقتصادية وضائقات غذائية ومنع كيفي لمورد التسلح ينوء تحت عبئها هذا الشعب الأبيّ الكبير وقادته المخلصون. ويكاد أحدنا لا يصدق سمعه وبصره عندما يهبط إلى الأسواق أو يزور الأحياء الشعبية أو يرقب حركة المواصلات أو يسأل ليتفهم: أربعون مليوناً من البشر صامدون في أعسر الظروف الاقتصادية في إصرارهم على عدم الانحراف عن خطة عدم الانحياز وفي اعتمادهم على نهج برغماطيكي عملي في توخي تحرير أقسام صغيرة أو واسعة من أرضهم ومن أرض سواهم من

(1) المحرِّر، 22 كانون الثاني 1975.

البلدان العربية تدريجياً وبدون ارتباط رسمي أو تنازل عن الحق العربي الكامل في مواجهة إسرائيل، وفي سعيهم لتضميد جراحهم الناجمة عن أربع حروب خاضها هذا الشعب لأجل فلسطين والعرب. وكذلك شاهدنا كبت هذا الشعب لمشاعره المتفجرة نفسياً بالنسبة للشح العربي في العون وللبخل في التقدير، ولمحاولات التشويه والتشكيك.

يجب أن نذكر دائماً أن مصر فقدت أكثر من خمسين ألف قتيل وأصيب من أبنائها مئات الآلاف من الجرحى والمشوّهين وشرّد الملايين من على ضفاف القنال وسيناء ودمرت مدنهم بكاملها فتوجّب نقلها إلى بيوت يسكن أحياناً في كل غرفة منها ثمانية.

ضرورة إنشاء جيش عربي قوي:

وبالرغم من ذلك ومن توجيه أموال هذا الشعب وقدراته إلى إنشاء أكبر جيش عربي وأقواه، وقد صرفوا على ذلك المليارات من الدولارات وما زالوا بمثابرة وصبر وحماس، فحرموا من وضع هذه العشرات من المليارات لتنمية بلادهم التي لا تتسع الرقعة الزراعية فيها عن الثلاثة والثلاثين ألف كيلو متر مربع وسط صحراء لا ينبت فيها شيء تقريباً.

يجب أن لا يغرب عن بالنا أن عدد السكان في مصر يزيد بنسبة ثمانماية ألف إلى المليون في كل سنة، وهي أفواه يجب إطعامها ويجب تشغيلها بالرغم من الجهد الهائل الذي حققه الرئيس جمال عبد الناصر وثم الرئيس السادات في خلق قاعدة صناعية يعمل فيها ما يقرب من أربعة ملايين عامل. وتوجب الملاحظة أن زيادة عدد السكان أخذت تنخفض أخيراً من 2,6 إلى 1,2 سنة 1974 نظراً لنجاح مشروعهم تنظيم العائلة إلى حد نسبي.

هل نترك مصر وحدها ونترك شعبها يعاني ما يعاني، ونهمل تنمية وتقوية الجيش المصري لكي يستطيع أن يواجه الثمانية آلاف دبابة ومدرّعة والأسلحة المتطورة الفتاكة التي تملكها اليوم إسرائيل؟ ومن المعلوم أن سوريا والأردن وجميع البلدان العربية، مهما بعدت عن محاور القتال، ستكون مهددة

مباشرة بالاجتياح إذا لم يقم على ضفاف القنال جيش مصري قوي يفرض هيبته وقدرات انتظامه وقتاله.

كان يقول لي الرئيس أنور السادات: لماذا يهملنا العرب؟ ولماذا نسمع هذا التشكيك فينا؟ ولماذا توجه التهم الطائشة والباطلة إلينا؟ ونحن كنا ولا نزال الفرقة الانتحارية في طليعة النضال العربي لأجل التحرير.

وأشار إلى أنه في نفس الوقت نرى منابع المال تتدفق وتتكوّن وتتكدّس من هذا الذهب الأسود بما يعادل الخمس وستين ملياراً ومايتين وأربعة وخمسين مليوناً من الدولارات من أصل حساب وتقدير عائدات النفط في سنة 1974 المنصرمة، وفق ما ورد في بعض المصادر الأميركية الأخيرة.

إننا نشيد بالمشاركة التي قامت بها دول النفط ومنها السعودية وأبو ظبي والكويت والجزائر وسواها يوم أقدمت على تخفيض إنتاج النفط، وعلى العون الفوري لدول المواجهة، ثم إلى رفع أسعار النفط بما هزّ العالم الأميركي والغربي في أركانه.

دعم دول المواجهة في المعركة المصيرية:

ولكن يحق باسم الغيرة والشفاعة واستثارة المروءة والشهامة العربية التقليدية أن نلفت نظر كبار المسؤولين في الدول العربية إلى ضرورة مد العون الفوري لمصر وسوريا وسواها من دول المواجهة، في أشكال ثلاثة:

أولاً: بدفع الديون المتراكمة في دول المواجهة وتبلغ بالنسبة لمصر وحدها سبعة مليارات من الدولارات ينوء تحتها الشعب المصري الذي تحمّل أثقال أعباء الاستمرار في الحرب وجروح معركة 6 تشرين المجيدة.

ثانياً: بتوفير عشرة مليارات الدولارات فوراً لدعم اقتصاد دفاع مصر وسوريا ودول المواجهة.

ثالثاً: بوضع مشروع قروض حرة استثنائية على طريقة مشروع مارشال - بعد الحرب العالمية الثانية - يتخصص لبناء اقتصاد ودفاع دول المواجهة.

والمال هو عصب كل شيء وهو الذي يؤخّر تسليح مصر في الوقت

الحاضر فوق أي اعتبار آخر. وهو الذي يؤخر استمرار التنمية الشاملة في مصر لإنقاذ شعب مصر العربي مما يعانيه من أزمات وضائقات وحرمان.

فالبدار البدار يا أهل الغيرة، ونحن نثق بتلبية هذا الواجب القومي والإسلامي المقدس. وقديماً قيل في حديث شريف بما معناه: من له فضل ناقة فليتفضل بها على أخيه، وكذلك من له فضل زاد ومال.

إن هذه السنة ستكون حاسمة بالنسبة لقضية فلسطين والقضية العربية وسط الوفاق الدولي المهيمن، فقد تأخرت مصر سنتين للاستعاضة عن الأسلحة التي خسرتها في حرب تشرين وللتدرب عليها ولابتياع أسلحة متطورة. وسبب ذلك أنها لم تستطع إيفاء ديونها المتراكمة الهائلة ولم يتوفر لها المال لدعم اقتصادها ودفاعها.

وبعد قراءة البيان أجاب كمال جنبلاط على أسئلة الصحافيين كالآتي:

س: أصحيح بأن الحرب الخامسة قريبة؟

ج: لست مبصراً.

س: كيف تجاوزت سوريا أزمتها بعد حرب تشرين؟

ج: لأن لدى سوريا أراض صالحة للزراعة ما يزيد عن 180 ألف كيلو متر، في حين لديها سكان أقل بكثير من مصر. سوريا ستصبح أغنى من لبنان بكثير في الفترة القادمة.

س: هل ستذهب إلى سوريا؟

ج: سأذهب بعد زيارتي لإحدى الدول العربية.

س: أي دولة عربية؟

ج: هذا سرّ المهنة. بعدين بتعرفوا.

س: ما هو رأيكم بالحكومة الحالية؟

ج: نحن في نظرتنا إلى الأمور واقعيين. رأينا أن الجدد يجب أن يجربوا حظهم. حتى الآن قامت الحكومة بأعمال لا بأس بها.

س: هل يجب المطالبة بمرسوم 1943؟

ج: يجب إعادة النظر فيه وفق أسس

تتلاءم مع الأوضاع الجديدة. هنا رأسماليون يجب أن تُفرَض عليهم ضرائب فعلية. وهناك الإيجارات، على الحكومة أن تحلها بسرعة كما ورد في مشروع الحزب التقدُمي الاشتراكي، إحدى مشاكل التضخم المالي في هذا البلد، وذلك بسبب تصاعد ثمن الأض، وبالتالي تصاعد الإيجارات. ويهمنا أن تحلّ الحكومة مشروع التجنس، إذ لا يجوز أن يبقى حوالي 135 ألف لبناني بدون هوية.

س: هل سيصدر مجلس الدفاع العربي المشترك قرارات هامة؟

ج: ما يهمنا أساساً هو تسليح مصر، لأنها القاعدة الأساسية للدفاع والهجوم العربي. إذا بقيت مصر بدون تسلح ينعكس ذلك على الوضع العربي العام. إذا ذهب العرب ومصر إلى مؤتمر جنيف وهم أضعف من إسرائيل للمفاوضة تكون الغلبة لإسرائيل. لكي ننجح في المفاوضات يجب أن نكون أقوياء. أنا لا أؤمن بالأعاجيب الديبلوماسية بل بمنطق التاريخ الذي يقول: إذا أردت السلم فاستعد للحرب.

يجب مدّ مصر بالأسلحة. والأسلحة يلزمها مال، فالاتحاد السوفياتي غير ملزم بأن يعطي مصر السلاح بأقساط لمدة عشرين سنة. لأن الاتحاد السوفياتي بحاجة للمال أيضاً، هناك مناطق متخلفة في الاتحاد السوفياتي ويلزمها عناية. وليس هناك سلاح إلحادي وآخر مؤمن.

يجب شراء الأسلحة لمصر مهما كان ولو كان سلاحاً إلحادياً.

س: كيسنجر آتٍ إلى المنطقة، هل يحمل مشاريع معينة معه؟

لم يعرض أي مشروع صلح على مصر. فقط في صحف لبنان تطرح مشاريع لا أساس لها من الصحة للتشكيك بالقيادات العربية. والتشكيك جريمة والقائمون بها مجرمون.

ليس هناك صلح منفرد، ولا حل جزئي. يجب أن نسحب هذه الأفكار الغريبة من رؤوسنا.

أحب في هذه المناسبة أن أستنكر مثلما فعل الرأي العام العربي والفلسطيني عادة خطف الطائرات. هذه العادة البشعة المقصود منها التعطيل على

العمل الديبلوماسي، والإساءة إلى سمعة العرب. كلما هم أحد المسؤولين العالميين بزيارة العرب، تخطف طائرة.

هذه العادة يجب إبطالها مهما كلف الأمر. العرب والفلسطينيون الذين حصلوا على اعتراف 105 دول بحقهم، لا يجوز أن يقوموا بعمل يجعل الرأي العام العالمي يرفضهم، وخصوصاً الحادث الأخير في فرنسا. إننا بهذه الأعمال نجعل الرأي العام الفرنسي يقف ضدنا.

ومن جهة ثانية، يجب أن يكون هناك تنسيق بين لبنان والمقاومة بالنسبة للجنوب، وبشأن تمكين عودة سكان ثلاث قرى نزحوا من ديارهم. إن إخلاء هذه القرى لن يفيد إلا إسرائيل.

يجب أن نتحلى بالانضباط، وإعطاء الأحداث قياسها الطبيعي، ويجب أن لا ننجرف في مغامرات ليس لها لزوم ولا فائدة لا للبنان ولا لأهل الجنوب ولا للقضية الفلسطينية نفسها. إلى أن تتوفر الأسلحة الضرورية لحماية سماء لبنان. وإن شاء الله يتحقق ذلك قريباً.

س: هل ستسافر إلى الاتحاد السوفياتي؟

ج: أنا مدعو إلى الاتحاد السوفياتي منذ الصيف. وسأذهب في أقرب فرصة متاحة.

على كل حال يجب العمل لإعادة الثقة بين الاتحاد السوفياتي وأقسام من العرب. يجب أن نكون أوفياء للاتحاد السوفياتي. إن أية ملابسات حدثت ليست خطيئة ويجب تجاوزها كلها.

فهرس الكتاب

* * *